ושה סמילנסקי **בני ערב** ירושלים 1984

صورة العرب
فى القصة العبرية القصيرة

דמות הערבים בסיפורת העברית

[من خلال أقاصيص موشيه سميلنسكى]

دراسة للمضمون مع ترجمة الأقاصيص

دكتور سيد سليمان عليان

مدرس اللغة العبرية وآدابها

كلية الآداب – جامعة عين شمس

مكتبة مدبولى

١٩٩٦

ترجمة الأقاصيص

משה סמילנסקי

בני ערב

שישה סיפורים

ירושלים 1984

المقدمة

تعد الفترة التي هاجر فيها موشيه سميلنسكي إلي فلسطين من أكثر فترات اليهود جدلاً حول الكيان اليهودي في ظل الصهيونية . فقد هاجر موشيه عام ١٨٩١م ، وكان عمره آنذاك سبع عشرسنة وقبل ذلك بسنوات كانت تسود أوروبا الغربية والشرقية أفكار حركة التنوير اليهودية المسماة " ההשכלה - الهسكالاة " والتي قامت علي غرارحركة التنوير الأوروبية والتي سادت أوروبا في القرن الثامن عشر. وكانت تدعو حركة الهسكالاة اليهود للاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها إندماجاً كاملاً للخروج من العزلة الاجتماعية التي كانت تميز التواجد اليهودي في هذه المجتمعات ؛ حيث كان اليهود يعيشون في أحياء يهودية منفصلة اجتماعياً تعرف باسم " الجيتو " . فكانوا يتعرضون للاضطهادات المستمرة والمذابح أحياناً ويعيشون حياة هامشية هدفها الأول استنزاف أموال الآخرين بأقصر الطرق كفتح الخمارات والعمل بالربا وما إلي ذلك .

ويبدو أن أفكار حركة الهسكالاة هذه قد لاقت بعض النجاح في أوروبا الغربية وخصوصاً في ألمانيا نظراً للخطوات الايجابية التي قام بها دعاة الاندماج فيها وعلي رأسهم موسي مندلسون. ولما انتقلت نفس هذه الأفكار إلي أوروبا الشرقية ، اصطدمت بمجتمع يختلف عن المجتمع الغربي ؛ مجتمع يسيطر عليه الفقر والتخلف والتزمت الديني نظراً للأوضاع الاجتماعية المتدنية وسيطرة الدينيين علي الحياة

اليهودية ،وكان اليهود في أوروبا الشرقية وخصوصاً في روسيا أكثر تخلفاً وأكثرعزلة وأكثر هامشية في الحياة. وقد تعرضوا في روسيا علي وجه الخصوص لصنوف من الأحداث التي جعلتهم يشعرون بالاضطهـــاد والضيق ، لذا لم يتقبلوا الفكر التنويري بالصورة الكاملة لكثرة الأحداث المضادة لهم ومع هذه الأحداث ظهر علي السطح ما أطلق عليه " المسألة اليهودية "والتي يجب البحث عن لها حل ، مر هنا بدأ التفكير في حلول للخلاص من القيود الاجتماعية والدينية التي تكبل حياتهم في أوروبا الشرقية بصفة عامة ، فطرحت الأفكارلهذه المسألة ومن بينها ضرورة الهجر ة إلي فلسطين – والتمسك باليهودية كديانة وبالعبرية كلغة – لإعادة بناء أمجاد الآباء علي أرض فلسطين ، وقد تزامنت هذه الدعوة مع التيار الرومانسي في الأدب العبري آنذاك ، وكانت جماهير اليهود مهيئة لتقبل أي فكر من شأنه تخليصهم مما هم فيه في ذلك الوقت .

وكان عام ١٨٨٢م يمثل ذروة الأحداث بالنسبة لليهود في شرق أوروبا ؛ ففي هذه السنة كثرت الحوادث مما دفع الحكومة الروسية إلي اصدار قوانين مايو التي تقيد اليهودي داخل إطار الحي اليهودي أو الجيتو الذي يسكنه ، لم يهدأ اليهود لهذه الاجراءات الروسية التي تستهدفهم وتحد من حركتهم ، فبدأت تتكون الجمعيات والحركات اليهودية التي تنادي بضرورة الهجرة إلي فلسطين واستيطانها .

وأول حركة من هذا النوع أطلقوا عليها اسم (البيلو) " ביל"ו " وهي إختصار لعبارة : בית יעקב לכו ונלכה : يا بيت يعقوب اذهبوا وسنذهب

معكم" (فقرة من سفر أشعيا) . وكانت هذه الحركة بمثابة الشعار للهجرة واعتبروها نداء لليهود ، ويلاحظ هنا أن هذا النداء قد أخذ الشكل الديني الذي كان يستقطب اليهود بسهولة . وقد تمت بالفعل هجرة يهودية عن طريقها واشتغل من وصل منهم بالزراعة في فلسطين . وسرعان ما انتشرت هذه الأفكار الجديدة وتكونت جمعيات وحركات مماثلة تدعو اليهود للهجرة ، ومنها جمعية " أحباء صهيون " . وكانت هذه الجمعيات والحركات تعمل من خلال مبدأ " اقتحام الأرض والاستيلاء عليها وزراعتها " ، وقد نفذ البرنامج الصهيوني بعد ذلك نفس هذا المبدأ بتوسع ولايزال ويستند أيضاً في تشدده علي الفكر الديني . فاقتحموا الأرض واستولوا عليها ـ أوأنقذوها من العرب علي حد تعبيرهم ـ ثم بنوا عليها المستوطنات اليهودية الصهيونية ، ولم يمانعوا في البداية مناستخدام العمال العرب للمساعدة في الزراعة . فاليهود الذين جاءوا إلي فلسطين في ذلك الوقت وجدوا المقيمين فيها يعيشون في فاق فلم يرغبوا في التغيير السريع الذي لا يعرفون نتائجه ، فأرادوا امساك "العصا ن الوسط " ؛ يثبتون أقدامهم أولاً بالاستعانة بالعرب ثم يقومون بتنفيذ برامجهم لاستيطانية رويداً رويداً .

ويجدر بنا أن نشير إلي نوعين من الاستيطان في فلسطين آنذاك :

الأول الاستيطان اليهودي الذي يدخل في الاطارالديني ويعيش اليهود من خلاله حسن الجوار مع العرب ويعتمدون علي المساعدات الخارجية أو الصدقات חלוקה: الحالوقا) وهؤلاء لم يرحبوا في البداية بموجات الهجرة التي بدأت

في التدفق من شرق أوروبا لاستقرارهم مع العرب في حياة واحدة ، أو هكذا كان يبدو .

والثاني هو الاستيطان الصهيوني الذي يؤرخ له منذ عام ١٨٨٢م والذي يدخل في إطار السياسة والفكر الصهيوني والأيديولوجيات الصهيونية طويلة المدي وقد بدأ هذا النوع من الاستيطان مع تدفق الهجرات الصهيونية إلي فلسطين ، وتوّج بفكره الدولة عام ١٨٩٧م ثم بنشر كتاب هرتزل ١٨٩٨م " دولة اليهود " .

كما يجب الاشارة إلي أن طرح موضوع فلسطين كمكان لتجميع اليهود من الشتات لم تكن الفكرة الوحيدة ، ففي نفس السنة التي هاجر فيها موشيه سميلنسكي– علي سبيل المثال – إلي فلسطين كان بعضهم يفكرون في أماكن أخرى ليجدوا سبيلاً للحياة بعيداً عن الأحداث التي كدرت وأقلقت استقرارهم . فاتجهت هجرة يهودية (غير صهيونية) إلي الأرجنتين بتمويل من المليونير الألماني اليهودي موريس دي هيرش الذي أسس جماعة " الاستيطان اليهودي " أما الهجرات اليهودية التي اتجهت إلي فلسطين فكانت تحمل صفات وتوجهات الفكر الصهيوني . لذا يطلق عليها اسم " الهجرات الصهيونية " وقد تمت الهجرات الصهيونية علي خمس موجات منتظمة . وينتمي موشيه سميلنسكي للموجة الأولى من هذه الهجرات المسماة هعلياه هاريشوناه : העלייה הראשונה و التي يؤرخ لها في الفترة ما بين عامي ١٨٨٢م – ١٩٠٣م ، ومعظم مهاجري الموجة الأولى كانوا من يهود شرق أوروبا الذين ارتبطت في أذهانهم ووجدانهم البشاعات الاجتماعية والمذابح والاضطهادات

التي عانوا منها وانعكست علي حياتهم الاقتصادية والاجتماعية ، وكانت تشرف جماعة أحباء صهيون والبيلو علي هذه الهجرة ويمولها المليونير روتشيلد . وقداستعانوا بعمال من العرب لمساعدتهم في زراعة الأرض ، وأقاموا في مستوطنات زراعية تسمى موشافوت מושבות ، والاستيطان الزراعي له عدة أشكال منها קיבוץ : كيبوتس و קבוצה كيبوتسا و מושב שיתופי : موشاف شيتوفي : مستوطنة تعاونية و מושב עובדים موشاف عوفديم : مستوطنة عمالية . وهذه الأشكال المختلفة من الاستيطان الزراعي تختلف فيما بينها في كيفية إدارتها وملكية أرضها وما إلي ذلك ، ومعظم هذه الأراضي كان مملوكة لصندوق إنشاء إسرائيل المسمي " الككل " : קק"ל(קרן קיימת לישראל : كيرن كاييمت ليسرائيل) ولكنها في النهاية تستهدف الاستيلاء علي الأرض وزراعتها ، وقد اشتغل موشيه سميلنسكي في البداية في مستوطنة تسمى ראשון לציון : ريشون لتسيون ، ثم اشترى والده أرضاً في " חדירה ": حديرا (خضيرة العربية) وانتقلت إليها الأسرة . وسرعان ما تركوها لانتشار عدوى الملاريا وموت الكثيرين في هذه المنطقة فتوجهت أسرة سميلنسكي إلي رحوفوت רחובות .

وفي عام ١٩٠٦م زارسميلنسكي سويسرا ، وهناك طلب منه أحد الصحفيين اليهود أن يكتب شيئاً عن العرب الذين عرفهم موشيه من خلال عمله معهم في الزراعة في فلسطين . فوافق موشيه ، ودخل موشيه سميلنسكي بهذا إلي مجال

الأدب بطريق الصدفة وذلك علي الرغم من أنه كان من أسرة أدبية فقد كان أخوه " مئيرسيكو" أديباً عبرياً له كتابات عن حياة اليهود في أوكرانيا وابن أخيه " سميلنسكي يزهار " الشهير بسامخ يزهار من الأدباء العبرانيين المشهورين أيضاً .

وكان موضوع الكتابة عن العرب وحياتهم آنذاك من الموضوعات الرومانسية في الأدب العبري والكتابة فيه تلقي رواجاً بين اليهود الصهاينة الجدد المتعطشين للتزود بمعرفة سكان فلسطين العرب وحياتهم .

وبعد ذلك بفترة دخل موشيه إلي المستشفي وزاره نفس الصحفي ثانيةً وكرر طلبه وشجعه علي الكتابة . فكتب سميلنسكي قصته الأولى وهو في فراش المرض، وكانت تدور القصة الأولى حول حياة العرب ، بطلتها فتاة عربية تدعى " لطيفة " يزعم موشيه أنه التقاها وعرفها في إحدى الموشافوت (المستوطنات) . وقد راجت هذه القصة ونشرت في صحيفة روسية . ثم بدأ موشيه بعد ذلك في كتابة القصص التي تدور حول حياة العرب وكان يوقع عليها بلقب " الخواجة موسى" وهو اللقب الذي كان العمال العرب ينادونه به في مجال الزراعة و اشتهر به بعد ذلك . كما أن له كتابات أخرى عن حياة اليهود داخل الموشافوت وله كتابات في الذكريات تشرح حياة الاستيطان العبري/الصهيوني في فلسطين . وقد كتب سميلنسكي ست أقاصيص – موضوع دراستنا هنا – نشرتها سلسلة " גשר " عام ١٩٨٤م في عددها رقم (٨) بعنوان " العرب : בני ערב " .

وقد مات موشيه سميلنسكي عام ١٩٥٣ وأطلق اسـمه علي المستوطنة الزراعية "נר משה شمعة موسي" وتقع في شمال النقب .

وجدير بالذكر أن هذه الأقاصيص قد نقلت في هذه السلسلة بعبرية تختلف في أسلوبها المبسط عما كتبها موشيه سميلنسكي مما يصعب معه التعليق عليها لغوياً ولكن في نفس الوقت يسهل التعليق عليها من حيث المضمون لأنها تتضمن الفكرة كما قصدها مؤلفها وهذا ما دفعني للتعليق علي مضمونها . وربما كتبها موشيه بالعبرية المبسطة ليجذب بها القراء الجدد القادمين من شرق أو غرب أوروبا .

وقد قامت بإختيار هذه المجموعة و صياغتها للعبرية جاليا يردني : גליה ירדני ونشرتها المنظمةالصهيونية العالمية بالقدس :

המחלקה לחינוך ולתרבות בגולה של ההסתדרות הציונית העולמית , ירושלים .

" قسم التعليم والثقافة في الشتات التابع للهستدروت الصهيوني العالمي ، القدس"

وهذه الأقاصيص الست هي :

١– صاحب الكلب : אבו אל כלב

٢– الحمو: חותן

٣– الموت المفاجيء : מיתת נשיקה

٤– بنت الشيخ : בת השיך

٥- عبد الهادي : עבדול הדי

٦- الأخذ بالثأر : גואל הדם

ونعرض فيما يلي لصورة العرب التي نقلها سميلنسكي للأدب العبري وللوجدان اليهودي كما زعم أنه رآها وعايشها إجتماعياً في فلسطين أوكما أراد الخواجة موسي أن يقنع بها القراء اليهود في فلسطين وخارجها .

لقد قرأت هذه الأقاصيص قراءة أولية بدافع المعرفة فوجدت نفسي أشرع في ترجمتها و لدي الحماس للتعليق علي ما ورد بها من أخطاء وافتراءات وتشويه للصورة العربية والاسلامية .

وأشكر كل شجعني للقيام بهذه الدراسة ومنهم الأستاذ الدكتور / شعبان سلام ، منسق اللغة العبرية بجامعة الملك سعود ، الذي تفضل مشكوراً بالمراجعة والتوجيه والنصح . وسعادة الدكتور / مسعد بن سويلم الشامان رئيس قسم اللغات الآسيوية بكلية اللغات والترجمة - جامعة الملك سعود علي ملاحظاته القيمة وتذليل الكثير من الصعاب .

دراسة في مضمون وعناصراقاصيص

משה סמילנסקי

בני ערב

١- **الأقصوصة الأولى** : صاحب الكلب : אבו-אל-כלב

يعرض سميلنسكي في الأقصوصة الأولى نموذجاً لعربي يدعي أنه عرفه وجلس معه ، هذا العربي رجل أسود البشرة اشتروا والده عبداً من سوق مصرية وكان راعياً للغنم . وكانت عقدة الابن صاحب الكلب ، أنه من ذوي البشرة السوداء . لقد بالغ سميلنسكي في وصف عقدته كثيراً ، فهو العربي الوحيد في القرية الأسود والكل يهزأ به ويلقبونه " بالشيطان الأسود : השד השחור " . كره صاحب الكلب نفسه عندما كان صغيراً فكان يفرك وجهه بالرمال حتي الألم ليتخلص من سواد بشرته . وبالاضافة إلي ما كان يعانيه في عقدته الأساسية ، كان صاحب الكلب وحيداً يعاني آلام الوحدة وقسوتها . وذات يوم وجد كلباً بلا صاحب فأشفق عليه وأخذه ورباه ليأتنس به في هذه الوحدة . كان يفعل له مالم يفعله لنفسه ، لدرجة أنه سرق له من لبن الأغنام ليطعمه أثناء مرضه ، وكان يقتسم معه الخبز . لم يرض الخواجة موسي أن تمر الأحداث بهدوء ، وأراد أن يظهر قسوة العرب ، فبعد أن علم أصحاب الغنم بما فعله صاحب الكلب لكلبه ، أخذوا هذا الكلب وضربوه حتي الموت . مات الكلب وبقي لقب الرجل صاحب الكلب ملتصقاً به بقية حياته . كان هذا الرجل يتمنى الزواج مثله مثل أي شخص آخر ، لكن هذا الأمل كان بعيد المنال لأنه أسود البشرة ولايمتلك النقود الكافية للزواج . وهنا يمهد موشيه سميلنسكي لشئ آخر ؛ فلم ينس يهوديته التي عاش بها في البلاد المختلفة . فصاحب الكلب لم يمتلك النقود إلا عندما جاء اليهود لهذا المكان ولكن بعد أن تقدم في العمر ، لذلك لم

يتزوج .

لقد ركز سميلنسكي في أقصوصته هذه علي عنصرين رئيسيين :

<u>الأول</u> : أن العرب كانت تفرق بين الأسود والأبيض وخصوصاً في حياة الاستقرار . فجعل أهل القرية يحتقرونه ، أما البدو الذين انتقل إليهم فلم يعنيهم اللون . والكاتب بذلك يريد نقل صورة عن إجتماعيات القرية العربية وإجتماعيات البدو وعلاقة المجتمع بالفرد . لذلك أتي ببطل أسود البشرة لينفث من خلاله سمومه ، فيجعل العرب تكرهه وتزدريه وتسخر منه فيقول :

" עבד אללה היה כושי שחור:

كان عبدالله زنجياً أسود اللون " (ص٩) .

لم يشفقوا علي وحدته فقتلوا كلبه الذي كان يرافقه في الرعي ، لا يعرف الخواجة موسي أن العرب لا تفرق بين الألوان ، أو يعرف ويتجاهل ، فقد ادّعى أنه عاش بين العرب وعرفهم ووافق علي أن يكتب حكايات عنهم .

<u>الثاني</u> : أن سميلنسكي أراد عن قصد أن يقول بأن العرب لم تعرف النقود إلا بعد أن جاء اليهود لهذا المكان ، فبسبب عدم وجود النقود لم يستطع صاحب الكلب الزواج وظل أعزباً إلي أن تقدمت به السن ، فيقول :

" רק כאשר התחילו היהודים לבוא למקום ראה גם כסף :

عندما بدأ اليهود في المجئ لهذا المكان رأى النقود " (ص١٢) .

ويعد هذا تدخلاً مباشراً من الكاتب بصفته العامة لكونه يهودياً . وقد أسرف في

التدخل المباشر فذكر أنه ذهب يبحث عن حارس لأشجاره من بين البدو فالتقي ببطله،

وتخلو هذه الأقصوصة من الحوارات المباشرة ، ولكنها في نفس الوقت تتضمن حوارات الألم الداخلية التي كان البطل يشعر بها من معاملة الآخرين له ، وحزنه علي فقده للكلب الذي كان يؤنس وحدته . وقد تبلورت قمة الحوارت النفسية في عبارته الأخيرة :

" והכלב , לבן היה ... " : وأما الكلب فقد كان أبيض اللون ...(ص ١٤) .

٢- الأقصوصة الثانية : الحمو חותן

اختار سميلنسكي في هذه الأقصوصة نموذجاً مشوهاً لعربي بدين قمئ ، تنفر منه الناس ويجمع بداخله الكثير من المتناقضات فهوفي صورة وحش آدمي لكنه يمتلك قلباً طيباً لا يدركه أحد . يحب النساء الصغيرات ، ولما تزوج واحدة منهن نفرت منه وكرهته وتمنت له الموت . وقد حاول سميلنسكي أن يعقد مقارنات وجدانية بين مشاعر الزوج ورد فعل زوجته فهذا الدميم يحب الزوجة حباً كبيراً، ويعطيها كل ما ترغب ،أما هي فكانت تقابل هذا الحب بكراهية شديدة ودائمة اللوم له. وأبرز الخواجة موسي من خلال تسامحه معه أنه قد يفرّط أيضاً في عرضه فجعل الزوج يغفر لها ما سمعه من الجيران من سوء سلوكها وفحش تصرفاتها فيقول :

" היה הוא שותק וסובל הכל בשקט . גם לדברים הרעים שספרו לו על אשתו השכנים והשכנות לא שם לב : كان صامتاً.

يتحمل كل شئ في صمت ، لم يعر اهتماماً لما رواه له الجيران والجارات من الأمور السيئة عن زوجته ... " (ص ١٦) .

وأنه تغاضي عما سمع إرضاءً لها ، ولم تقف كراهية الزوجة عند حد الزوج ، بل كانت تكره ابنتها أيضاً لا لشئ إلا أنها ابنته فتقول له :

" שונאת אני אותך וגם את ד־ת המכוערת שלך :

أكرهك وأكره ابنتك الدميمة أيضاً " (ص ١٦) .

وفجأة يثور الوحش عندما يرى زوجته تضرب ابنته حليمه ، فيمسك بيدها ويستجمع كل قوته فتنكسرذراعها ويضطر لتطليقها بعد حضور والديها . كان الرجل العربي يحب ابنته حليمة فمنحها كل حنانه ورعايته ، وكان يأخذها معه إلي الحقل .

وما أود الاشارة إليه هنا هو عنوان هذه الأقصوصة : الحموחותן فالحمو في العربية هو والد الزوج بالنسبة للزوجة أو والد الزوجة بالنسبة للزوج . وأما زوج الابنة فهو الصهر بالنسبة لحميه وكانت العلاقة الزوجية هي علاقة بين الأسر، ولكنا نلحظ هنا أن هذا اللقب أُطلق علي زوج الابنة ويبدو أن الخواجة موسي لم يفهم العلاقة الأسرية عند العرب ، أو أن هذا اللقب أطلق عليه من قبيل السخرية لدمامته وبدانته . ويذكر الكاتب أن أهل القرية أطلقوا عليه لقب " حمى الجمل " لضخامة جسده مما يؤكد أنها تسمية للسخرية . وعلي كلٍ فالتسمية هنا غامضة وغير مفهومة . ومن ناحية أخرى نجد أن " حمي الجمل " هذا قد أحب وتمنى أن يلقبوه بلقب " أبي حليمة " لحبه الشديد لابنته حليمة .

لقد ذكر سميلنسكي أنه تعرف عليه وقابله وكان يلقبه بأبي حليمة ، وقد أظهر في هذا التدخل " الأنا اليهودي " في عبارته التي يقول فيها :

" רק אני הייתי קורא לו תמיד " אבו-חלימה" מפני כך אהב אותי :

أما أنا فكنت أناديه دائماً بأبي حليمة ، لذلك أحبني " (ص ١٧) .

بل وأخذه ليحرس بستانه إشفاقاً عليه وهنا نشعر بشئ من العطف والتعاطف مع العربي ليبين الكاتب من خلاله أنه كيهودي تعايش مع العرب وعاونهم واستعان بهم في عمله . وربما أراد أن يقنع القرّاء بمصداقية ما يكتب لهم ويوهمهم بأنها قصص من الواقع .

وفي الحقيقة هذه المعطيات المتناقضة في هذه الأقصوصة قد جعلت الحبكة القصصية متناقضة أيضاً . وهذا التناقض – في رأيي – غير متناسق ويثير الكثير من التساؤلات ، وهذه التساؤلات جعلت من منطقية الأحداث نقصاً وأخلت بوحدة الموضوع لما فيها من تنافر واضح .

٣- الأقصوصة الثالثة : الموت من قبلة מיתת נשיקה

تعد هذه الأقصوصة من غرائب الأقاصيص ، أو هي من الفولكلور الخيالي المتوارث . بطلها شيخ تهابه العرب وتشفق عليه في نفس الوقت ؛ فأبناء هذا الشيخ يموتون عندما يبلغون الثالثة عشرة سنة من عمرهم إذا قبلوا امرأة ، فتحل

عليهم لعنة النساء ، وكلما ذكرت القبائل اسم هذا الشيخ قالوا: أستغفر الله العظيم درءاً للخطر . فقد مات لهذا الشيخ ثلاثة من أفضل شباب العرب ، ولما رزقه الله بابن رابع أراد الحفاظ عليه ،واجتمع الشيوخ ثلاثة أيام وثلاث ليال ثم قرروا استشارة أحد الدراويش وجاءهم الدرويش بعد سبعة أيام وقرر إبعاد النساء عن الصبي لأن المرأة شيطان .لقد طلب الدرويش منهم غسل الأرجل للصلاة فتخيل سميلنسكي أن مجرد غسل الأرجل يعني في الاسلام الوضوء فيقول علي لسان الدرويش :

" רחצו את הרגלים ונתפלל כולנו לאלוהים :

اغسلوا أرجلكم لنصلي جميعاً لله " (ص ١٩) .

ولما بدأ الشيخ في تنفيذ طلب الدرويش لم يرحم قلب الأم التي بكت وقبلت قدمي الزوج لتبقي بجوار ابنها ، وبقي الأب والابن وحيدين في خيمة تبعد عن خيام القبيلة حتي بلغ الصبي الثالثة عشرة من عمره . وهنا اقحم الكاتب عاداته الدينية ، وفقد أراد الأب أن يقيم وليمة وإحتفالاً بمناسبة بلوغ الابن هذه السن ؛ ففي اليهودية يحتفل بالولد الذي يبلغ الثالثة عشرة ويوم من عمره ويسمي الولد عندئذٍ " בר מצווה : بر متسفاه " بمعني المكلّف (الواجب عليه تنفيذ أحكام الدين اليهودي) وهي عبارة آرامية ومعناها ابن الوصية أي البالغ الرشيد الذي توجب عليه إقامة الشرائع الدينية ويقدر علي تحمل المسئولية الدينية والاجتماعية (والثانية عشرة ويوم بالنسبة للاناث وتسمي : בת מצווה : بت متسفاه) .

أراد سميلنسكي أن ينقل هذه العادة اليهودية للعرب ، ولم نسمع بإحتفال كهذا عند العرب وعلي نفس النهج أراد أيضاً الكاتب أن يقحم يهودياته في القصة العربية فاستخدم أرقاماً تكررت في توراته ورسخت في ذهنه مثل : ثلاثة أيام .. ثلاث ليال.. سبعة أيام ، فيقول :

"ישבו הזקנים שלושה ימים ,ששלושה לילות ... הלכו השליחים ואחרי שבעה ימים חזרו ... :

مكث الشيوخ ثلاثة أيام وثلاث ليال ... ذهب الرسل وبعد سبعة أيام عادوا " (ص ١٩) . (راجع سفرالتكوين الاصحاح السادس) .

وحدث مالا يتوقعه الأب ، فقد التقي الابن بامرأة في الحقل ولم يكن يعرف أنها امرأة ، بل وصفها بأنها إنسان ليس برجل . ورأي سميلنسكي أنه من السهل علي أي شخص أن يقبل أية امرأة وكأن المرأة العربية يسهل عليها التفريط في نفسها علي هذا النحو فيقول علي لسان الولد :

" אבי ראיתי דבר ראיתי בן אדם ,אבל לא היה זה גבר .על הראש נשאה כד מים . ראיתי אותה והתחיל הלב שלי דופק ...הלכתי אחריה עד האוהלים :

يا أبي رأيت شيئاً ، رأيت إنساناً لكنه ليس برجل . تحمل علي رأسها جرة ماء ، رأيتها وبدأ قلبي يخفق ... ذهبت خلفها إلي الخيام "(ص ٢٢ ، ٢٣) .

وزيادة في الحبكة القصصية يضيف الخواجة موسي أن الابن ألحّ علي والده أن

، يذهب للشيطان ليقبله ثانيةً ، فوافق الأب علي رغبة ابنه طالما لم يحدث له مكروهاً في المرة الأولى فيقول :

" אבא אינני יכול עוד . תן לי ללכת רק הפעם הזאת .

הביט בו הזקן .. הביט בו ולבסוף אמר : לך :

يا أبي لم أعد أطيق ، فلتسمح لي هذه المرة بالذهاب . نظر الأب إليه وحملق فيه وقال : اذهب ! " (ص ٢٥) .

واعتمد الأب علي عبارته التي يكررها ببساطه فيقول :

" ישמור אותך אלוהים והנביא : ليحفظك الله والنبي " ! (ص ٢٥)

وظل الحال هكذا إلي أن عاد إليه الابن ذات مرة محمولاً ولقي نفس مصير إخوته السابقين وهي نهاية درامية مأساوية .

وقد اعتمد الكاتب في مواضع كثيرة علي الحوار السريع ومن هذه الحوارات :

– בני!	– يابني !
– כן , אבא !	– نعم ، يا أبي !
– למה אין אתה ישן ?	– لمَ لا تنام ؟
- אינני יכול .	– لم أستطع .
- למה ?	– لماذا ؟
- השטן .	– الشيطان .

- קום התפלל , בני !   - قم صلِّ ، يا بني ! (ص ٢٣)

٤- الأقصوصة الرابعة : بنت الشيخ בת השיך

انتقل سميلنسكي في هذه الأقصوصة إلي محور آخر فأراد أن ينقل صورة عن حياة القبيلة العربية وعلاقاتها بالقبائل المجاورة لها ، فقد أظهر هذه القبائل في حالة خلاف وتناحر دائمين فيعرض لخلاف بين قبيلتين ؛ قبيلة جبلي التي يتزعمها الشيخ إبراهيم وهي القبيلة الأكثر عدداً والتي تنجب الأولاد الذكور بكثرة ، وقبيلة شهلي التي يتزعمها الشيخ عبد الله وهي القبيلة الأقل عدداً والتي تنجب الاناث فقط . مات الشيخان وظل الخلاف قائماً بين القبيلتين حول قطعة أرض ، تحول هذا الخلاف إلي نوع من الغيرة تمثل في رغبة شباب قبيلة جبلي في الزواج من بنات قبيلة شهلي ، وبالتحديد من جميلة الجميلات فاطمة بنت الشيخ خليل بن عبد الله شيخ القبيلة .

ويركز هنا الكاتب علي الاشاعة التي انتشرت بأن ثمة علاقة محرمة تجمع بين فاطمة وابن الشيخ إبراهيم – من قبيلة جبلي – وأن فاطمة حبلى منه فيقول : " יום אחד התחילו לדבר בכפר ולספר שהבן הצעיר של השיך איבראהים ...אוהב את פטמה והיא מחזירה לו אהבה ... אחרי שבועות אחדים התחילו לדבר ולספר בכפר שפטמה הרה :

وذات يوم بدأوا في التحدث في القرية وتقولوا أن الابن الصغير للشيخ إبراهيم يحب فاطمة وأنها تبادله الحب ... وبعد عدة أسابيع بدأوا التحدث في القرية عن حمل فاطمة " (ص ٣٠) . فتحرشت بها النساء في القبيلة وضربتها حتي الموت .

لقد استباح سميلنسكي الكثير من المحظورات في هذه الحبكة ، فبالغ في وصف الخلاف بين القبيلتين ؛ لقد كان الخلاف في البداية حول قطعة أرض وتطور لقطيعة كاملة ومطلقة بينهما في السكن وأثناء إحضار الماء من البئر الواحدة وفي الزواج والموت فيقول واصفاً مدي الخلاف بين القبيلتين :

" חמולה אחת לא נכנסה למקום שם ישבה החמולה השניה, לא דברו זה עם זה ולא התחתנו אלה באלה ... וגם כאשר מתו לא רצו לשכב זה בצד זה :

لا تدخل قبيلة إلي المكان الذي توجد فيه القبيلة الثانية ، لا يتحدث هذا مع ذاك ، ولا يتزاوج هؤلاء من أولئك ..وعندما يموتون لا يرقد هذا بجوار ذاك " (ص ٢٨) .

ثم حوّل الخلاف إلي الشرف والعرض فنشط عقل الكاتب ليجعل غسل العار يتم عن طريق النساء دون علم والدي فاطمة فقد ورد :

" דברו על כך הצעירים , והדבר הגיע גם לאוזני הזקנים , רק השיך חליל ואשתו לא ידעו דבר : تحدث الفتيان عن ذلك ، ووصل الأمر إلي مسامع الشيوخ ، أما خليل وزوجته فلم يعلما شيئاً " (ص ٣٢) .

فالقبائل العربية التي كانت موجودة في فلسطين كانت تعيش في صراع دائم

حول الأرض والعرض وهذا ما أراد سميلنسكي أن يبرزه . وأغلب الظن أن هذا لنسيج القصصي المريض لاوجود له إلا في خياله وأنه لم يعايشه في الواقع .

٥- الأقصوصة الخامسة : عبدالهادي עבדול הדי

يبرز سميلنسكي في هذه الأقصوصة صورة العربي المتحجر الذي يصر علي تخلفه فيتمسك بالقديم ويرفض كل ما هو جديد . ويجسد هذه الصورة من خلال خلاف بين جيلين ؛ جيل الآباء ويمثله عبدالهادي والشيخ الثري ، وجيل الأبناء ويمثله ابن عبد الهادي وابن الشيخ الثري . فالآباء لم يروا الدنيا التي من حولهم ، لم يبرحوا القرية الصغيرة المعزولة عن العالم بين جبال يهودا ، أما الأبناء فقد سمحت لهم الظروف بالخروج والسفر ورؤية المدن البعيدة ، والاطلاع علي مستحدثات العصر من سفن وقطارات ومدافع وبنادق .

الزمان هو القرن التاسع عشر في الفترة ما بعد حكم إبراهيم باشا بن محمد علي والي مصر والذي غزا فلسطين وحكمها تسع سنوات من ١٨٣٢م حتى ١٨٤٠م . و تدور الأقصوصة حول بندقية قديمة صُنعت أيام إبراهيم باشا وورثها عبد الهادي عن أبيه الشيخ صالح .

لقد طمع أحد الأثرياء في بندقية عبد الهادي وأراد أن يمتلكها بالشراء ، فرفض عبد الهادي التفريط فيها وتمسك بها وأحبها أكثر من بيته وزوجته وأولاده ورفض أن يفتدي ابنه بالبندقية وتركه يذهب للجندية تنفيذاً لعقاب الثري . لقد

كان عبد الهادي يقتل بهذه البندقية الضباع التي تهدد القري فاشتهر بها . ولما جاء الأبناء من الجندية يحملون البنادق الجديدة ، أرادوا أن يغيروا المفاهيم القديمة عند عبد الهادي ، لكنه أصر علي القديم وعاند نفسه ، بل أخذ يفكر في داخله وتعرض لحرب نفسية أثناء حواره مع ابنه ، فالابن يريد أن يغير من أفكار والده ليقنعه بالجديد والأب يرفض وقد وصف موشيه هذا الصراع فيقول :

" כן אבא . אבל הרובה שלך איננו מחטיא מפני שאתה הוא היורה בו... שמע עבדול-הדי את הדברים האלו מפי הצעיר וכעס כל כך עד שהרים את היד להכות אותו ...ובכל זאת שמר את דברי הבן בלבו , והם לא נתנו לו מנוחה :

نعم يا أبي . لكن بندقيتك لا تخطئ لأنك أنت الذي تصوب بها ...سمع عبد الهادي هذه الأقوال من الصغير وغضب فرفع يده ليضربه ... لكن كلام الابن كان لا يزال في خاطره ولم يمنحه راحة نفسية " (ص ٤١ ، ٤٢) .

ليكتشف بنفسه في النهاية أنه أسرف في تمسكه بالقديم . ومات عبد الهادي بمرض الكبرياء . فهذا العربي في نظر سميلنسكي شعر أن أفكاره التي توارثها خاطئة وأدرك أن الجديد أفضل فمات غيظاً دون أن يعلم أحد بسبب موته . وقد استطاع عبد الهادي في الكثير من المواقف أن يتمالك نفسه عندما يحتدم النقاش . وقد تكرر هذا في موقفين ؛ المرة الأولى أثناء نقاشه مع ابن الشري وتدخل أبناء القرية لحسم الخلاف بينهما وصرفه في إتجاه آخر .

والمرة **الثانية** بين عبد الهادي وابنه حول الجديد والقديم وقد حسمه هو نفسه لقناعته الداخلية بصدق ما يقوله ابنه ، رغم أنه يخالف رأيه المعلن . ولشعوره بهذه القناعة تماسك ولم يرفع يده ليضربه رداً لكبريائه .

ويعتبر تسلسل الأحداث في هذه الأقصوصة منطقياً ، فقد بدأت البداية البسيطة الهادئة وتصاعدت مع انتقال الأبناء للمدن الجديدة وعودتهم منها بالأفكار الجديدة . والمحور الأساسي في الأحداث هو عبد الهادي الذي يمثل التمسك بالقديم ويرفض الجديد ، ومن خلال عبد الهادي تتفرع الأحداث وتتشابك تصاعدياً في علاقته بالثري وابن الثري ، ثم علاقته بالقري المجاورة وشهرته في قتل الضباع بها ، وأخيراً في علاقته بابنه قبل ذهابه للجندية وبعد عودته منها . ومن خلال تطور الأحداث واجه عبد الهادي موقفين قويين : **الأول** عندما خدعته البندقية الموروثة وهو قابع لمواجهة الضبع ، و**الثاني** عنما خرج ليلاً يجرب البندقيتين وخذلته بندقيته القديمة التي كان حريصاً على التمسك بها ،تمثل له إرثاً غالياً .

٦- الأقصوصة السادسة : الآخذ بالثأر גואל הדם

كدس موشيه سميلنسكي في هذه الأقصوصة كل ما أراد أن يبثه من أحقاد دفينة في قالب قصصي مفتعل وضح من خلاله جهله بالكثير من عادات العرب والمسلمين ، لأخطائه الكثيرة فيها . فالشخصيات الرئيسية في هذه الأقصوصة هي :

* قبيلة أيوبي : ويمثلها الشيخ إبراهيم وابنه العريس وبعض العبيد و الزراع ويسكنون قرية عيون .

* قبيلة صلحي : ويمثلها العروس راشيا (راجية) وعمها خليل ويسكنون في قرية دهرية .

*ضيف القبيلتين : الشيخ محمد أبي رشيد ؛ وهو من قبيلة أيوبي .

تدور حبكة الأقصوصة حول علاقة نسب بين القبيلتين، العريس ابن الشيخ إبراهيم من قبيلة أيوبي والعروس راشيا من قبيلة صلحي . وأثناء العرس استقرت رصاصة من بندقية عم العروس في رقبة العريس فمات علي الفور ، ليأتي دور الضيف الذي تقدره وتجله كل القبائل . اجتمع بالقبيلتين في المساء وقضي بينهما بأن يهجر القاتل أهله ويتغرب لعشر سنوات وترك الشيخ معه رسالة لأبي القتيل ليعود له بها بعد إنقضاء السنوات العشر وحكم بأن تنتقل العروس للعيش في بيت حميها فتخدمه عوضاً عن ابنه الذي مات .

وأثناء صلاة الشيخ إبراهيم بعد انقضاء السنوات العشر رأى في السماء يداً

تقطر الدم من أصابعها الخمس فخيل إليه أنها تقطر الدم على رأسه ، وتذكر حينئذ ما حدث منذ عشر سنوات . وسمع بعدها طرقاً علي الباب ، فإذا بالطريد يأتي إليه ويسلمه رسالة الشيخ أبي رشيد ويسأل خليل عن راشيا ابنة أخيه ويطلبها منه زوجة له (!) . فقد تخيل سميلنسكي أن هذا الأمر جائز الحدوث عند العرب والعياذ بالله ، أو أنه أراد أن ينقل عن العرب هكذا فيقول علي لسان الشيخ إبراهيم لراشيا :

" דודך הוא, אחי אביך : إنه عمك شقيق والدك " (ص ٦٣) .

بل وجعل الشيخ يصفح عن قاتل ابنه ويرتب لعرس أرملة ابنه من عمها . فهذه الصورة من زواج المحارم قد ذكرتها التوراة في أكثر من موضع ؛ في قصة لوط مع ابنتيه (سفر التكوين ١٩ :٣١ وما بعدها) ، وفي قصة يوخابد وعمرام (سفر الخروج ٦ :٢٠ وسفر العدد ٢٦ : ٥٩) ، تامار وأمنون (سفر صموئيل ثان ١٣ : ١ وما بعدها) .

ويمهد سميلنسكي للأحداث التالية بأن يجعل صوتاً خفياً يطارد الشيخ إبراهيم فيتذكر واجب الموتى ، وعليه أن يستسمحهم في إقامة الفرح . ولما يذهب إلي المقابر يجد امرأته وابنه في إنتظاره فوق المقبرة . وتوجه المرأة له اللوم لأنه ترك عادة من عادات المسلمين وهي الأخذ بالثأرونسي أن الاسلام ينهي عن زيارة المقابر .

قال تعالي في سورة فاطر آية ٢١ :

" وما يستوى الأحيآء ولا الأموات إن الله يُسمع من يشآء ومآ أنت بمسمعٍ من في القبور"

وقال تعالي في سورة التكاثر آية ١ ، ٢ :

" ألهاكم التكاثر ، حتي زرتم المقابر "

لقد وضع الكاتب بطله في حيرة ! فقد صفح الأب عن قاتل ابنه بل وأمنه لكن الموتى غير راضين عن هذا التصرف . مما دفع الشيخ إبراهيم إلي غرس سيفه في قلب قاتل ابنه في يوم عرسه وثأر بهذا لدم ابنه ومات في نفس الوقت . فأظهر الكاتب هذا الشيخ العربي بأنه لا عهد له ولا أمان عنده ، نقض عهده إرضاءً للموتى ولأن الثأر عادة من عادات المسلمين (!) كما ادعى الكاتب . وكان قد أظهره من قبل في صورة الرجل الذي يشطح في صلاته فيرى أشياء في السماء ويجلس تحت شجرة التين ليفسر ما يراه وهو يدخن النرجيلة . يرى في أحلامه الطائر الأسود فيتوجس شراً فيقول :

" בקצה השמים הוא רואה עננה, שיש לה צורה של יד . וליד אצבעות ארוכות, מן האצבעות מטפטפות טפות של דם ... על ראשו : يرى في طرف السماء سحابة ، علي هيئة اليد وللبد أصابع طويلة ، والأصابع تقطر الدم علي رأسه " (ص ٤٤) .

استخدم أيضاً سميلنسكي الأرقام التي لها دلالة دينية لديه كيهودي ، فالقبيلتان عندما جلستا للتقاضي مثلهما اثنا عشر من كل قبيلة ، وهذا الرقم في ذهنه يدل علي الأسباط الاثني عشر .

وقد أخطأ موشيه أخطاءً دينية تبين أنه لم يكن علي دراية بأمور المسلمين الذين أراد الكتابة عن حياتهم فالشيخ إبراهيم كان يصلي ويولي وجهه ناحية مكة لمناجاة القبر المقدس ، وذكر أن قبر النبي (ص) في مكة وكررها في أكثر من موضع ، فيقول في وصف صلاة الشيخ :

" השיך ... מתפלל על גג הבית שלו ופניו לצד דרום , אל קבר הנביא אשר במכה הרחוקה : الشيخ يصلي علي سطوح بيته ووجهه ناحية الجنوب حيث قبر النبي في مكة البعيدة " (ص ٤٤) .

كما استخدم تعبيرات إسلامية سمعها وحفظها بصورة خاطئة فيقول :

" سوطفر الله العزيم : סוטפר אלה אל-עזים "

(استغفر الله العظيم) (ص ٤٤) .

وقال علي لسان الشيخ :

" לא אלה אלא אלה וסעידנו מחמד רסול אלה :

لا إله إلا الله وسعيدنا محمد رسول الله"

(وسيدنا محمد – ص – رسول الله) (ص ٤٨) .

يبدو أنه جمع هذه التعبيرات الاسلامية من بقايا ذاكرته وأراد أن يضمنها أقاصيصه ليقنع بها قراءه أنه يعرف العرب جيداً ويلاحظ أيضاً أنه قد استخدم لفظ الجلالة العربي وكتبه بصورة خاطئة باللغة العبرية فكتبه : אלה وكان المفروض أن

يكتبه هكذا : אללה بلامين وليس بلام واحدة ، وأحياناً كان يستخدم اللفظة العبرية אלוהים :إلوهيم (الرب) .

الأقصوصة الأولي : أبو الكلب

أبو الكلب ، هكذا كانوا ينادونه ، نسبة لكلبه الذي كان يحبه كثيراً ، اسمه الحقيقي عبدالله ، كان أبوه عبداً اشتراه أحد أفندية يافا من سوق بمصر ، وقد أعتق الأب بعد ذلك بسنوات وأقام في إحدي القري يرعى الغنم ، ماتت أم عبد الله عندما كان رضيعاً ، وملت أبوه عندما تعلم الخروج للحقل مع الغنم وكان عمره آنذاك خمس سنوات .

كان عبد الله زنجياً أسود البشرة كأبيه ، وكانت هذه مأساته ، ومع هذا وجد عبدالله له مكاناً في الحياة ، كان يرعى الأغنام في القرية صغيرة ، وكانت القرية تتكون من بيوت مبنية فوق صخور ، تجاور البحر على الطريق الذي يربط بين يافا وقيسارية ، لم يكن في القرية زنجياً سواه ، وكانت الناس تهزأ به وتطلق عليه لقب " الشيطان الأسود "، وكانت النساء تنظر للجهة الأخرى كلما مر في الطريق ، وتلقي الأولاد عليه الحجارة ، ليس بدافع الكراهية ولكن مجرد شقاوة أطفال ، وقد فعلوا نفس الشئ حيال كلب عبدالله الذي كان أبيض اللون ، لقد كان كلب الراعي الأسود أبيض اللون ، لذلك كان يحبه كثيراً ؛ فذات يوم كان يرعى غنمه على شاطئ البحر فوجد كلباً صغيراً جائعاً يرتعد من البرد ، فرح عبدالله بالكلب وكأنه وجد ثروة ، تألم له وتألم أيضاً على سواد بشرته ، فقبل ذلك كان يشعر بأن شيئاً ما ينقصه ، لم يعرف هذا الشئ ، لم يبك ، لم يصرخ عندما كانوا يسخرون منه أو يضربونه أو عندما كان يشعر بالجوع ، كان يجلس في ركن ما ويتألم بداخله وحيداً ، لم يتألم

بسبب الضربات أو السخرية أو الجوع ، بل من شئ آخر ... من الوحدة ، لكنه لم يدرك الأمر ... وعندما عثر على الكلب ، شعر أنه وجد ما كان ينقصه ، لم يعد وحيداً بعد ذلك اليوم ، فأحب الكلب الأبيض ؛ صديقه الوحيد وحافظ عليه ، عندما كان يحصل على خبز وأرز من وليمة ما كان يأكل الخبز ويعطي كلبه الأرز ، وإذا رزق بخبز يابس فقط كان يقتسمه معه ، لم يكن الكلب الصغير الأبيض جميلاً ، وكان أبناء القرية الصغار يلقون عليه الحجارة ، مثلما كانوا يفعلون مع صاحبه ، لم يكن عبدالله يتفوه بكلمة عندما كانوا يسخرون منه أو عندما كانوا يضربونه لكنه كان يدافع عن كلبه بكل شجاعة ، كان يغطيه بجسده ليتلقى عنه الضربات ، وهو يصرخ في الأولاد قائلاً لهم : " ولكنه أبيض اللون ! "

ذات يوم مرض الكلب ولم يشته الخبز الذي قدمه له صاحبه ، فسرق له عبد الله قليلاً من لبن الأغنام ، ولم يفعل هذا الأمر لنفسه من قبل ، وعلم أصحاب الغنم بالأمر فأخذوا الكلب وضربوه حتى الموت ، ترك عبدالله القرية التي ولد فيها في تلك الليلة وكان عمره آنذاك خمس عشرة سنة ، وواصل السير حتى وصل إلى خيام بدو وبقى عندهم بقية حياته .

لم يمتلك عبدالله كلباً بعد ذلك ، وظل لقب " صاحب الكلب " يلازمه في حياته . لم ينزعج من لونه الأسود بين البدو لأنهم لم يسخروا منه ولم يضربوه لأن بعضهم مثله . كان لا يزال يشعر بألم ما بداخله ؛ فقد كان يريد أن يكون مثلهم . عندما كان صغيراً كان يغسل وجهه بماء البحر المالح ، ويفركه بالرمال حتى الألم ، ويعود بعدها للقرية وقلبه يخفق . وما أن يسمع من الأولاد كلمة " الأسود " كان يدرك أن

الأمل لا يزال بعيداً في أن يجعل بشرته بيضاء . وعندما كبر أدرك أن بشرته لن تكون بيضاء . وبدأ عبدالله يفكر في الزواج والأولاد – من ذوي البشرة البيضاء – ولم يفارقه هذا الأمل حتى يومه الأخير . لم يستطيع تحقيق أمل الزواج بعدما صار مسناً ، لأنه لم يكن يمتلك بروطة [1] واحدة ، فكان يأخذ أجره طعاماً أو ثوباً بالياً .

وعندما بدأ اليهود في المجئ لهذا المكان بدأ عبدالله يرى النقود (!) رغم قلتها لكنه كان قد شاخ وتقدم في السن .

وذات يوم ذهبت إلى البدو أبحث عن حارث لأشجاري فوجدت هذا الراعي المسن الأسود الذي وافق على المجئ معي . وجلسنا في إحدى الليالي سوياً على شاطئ البحر وروى لي قصة حياته وبعد أن أنهى حكايته سكت للحظات ثم قال :

" فقد كان الكلب أبيض اللون " وكأنه أهم شئ ...

١– البروطة : هي اسم عام للنقود وهي أصغر جزء من الليرة الإسرائيلية – العملة القديمة – وتعادل ١/١٠٠٠ من الليرة (تساوي المليم من الجنيه المصري) .

الأقصوصة الثانية : الحمو (!)

كان قميئاً ، كبيراً ، بديناً كالجمل . اطلقوا عليه لقب " حمي الجمل " . إذا قابل إناساً لا يعرفونه ارتعدوا من هيئته ، ومن يعرفه يدرك جيداً أن بداخل هذا الجسد الفظ القميء قلب طفل صغير . لذلك كان الجميع يستغلونه ثم يسخرون منه . كان بإمكانه قتل الشخص من ضربة واحدة ، لكنه لم يرفع يده على أحد . وكان هذا الرجل الضخم يحب النساء صغيرات السن لأنهن ضعيفات وناعمات . عندما كبر وبدأ يفكر في المرأة ، كان يذهب للقرى لرؤية الفتيات ، وكان يذهب أيضاً للمدن ... إلى رام الله ويافا . وفي المدن وجد عبد الله ضالته ؛ كانت بنات المدن صغيرات ذوات بشرة بيضاء ناعمة . فقرر " حمو الجمل " الزواج من إحداهن . لم يكن يمتلك المال من أجل بنت المدينة ، فاشتغل لسنوات ، وعندما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره تزوج من امرأة صغيرة بيضاء في رام الله مقابل ألف فرنك (!) .

وعاد بزوجته سعيداً لبيته . أما الزوجة فكانت تكره هذا الزوج الضخم القميء ؛ لأنه كان في نظرها قروياً فظاً . لم تر قلبه الطيب ولم تفهمه . كانت دائماً غاضبة ، تصرخ . فلم يهدأ بيت الزوج . أما هو فقد كان يحب امرأته ، فلم يرسلها للعمل ، وكان يعطيها كل ما تطلب . عندما كانت تصرخ كان يسكت ويعاني في هدوء . لم يهتم بما رواه الجيران والجارات من أشياء سيئة عن زوجته ، وكانت الزوجة تصرخ فيه قائلة : " إني أكرهك وأريد الطلاق .

كان قلبه يتألم ولم يلفظ بكلمة واحدة . أما الزوجة فكانت تكرهه ، بل وتكره ابنته ، وكانت تردد دائماً : " أكرهك وأكره ابنتك الدميمة " . كان الحمو يرتعد عندما يسمع هذه الأشياء ، لكنه لم يقل شيئاً .

وذات يوم رأى امرأته تضرب الرضيعة ، فجاء مسرعاً وأمسك بيد الزوجة بقوة لمنعها عن ضرب الرضيعة . تثبت بيدها ، فكُسرت . جاء والداها وأجبراه على طلاقها وخسر الألف فرنك . وبقيت ابنته حليمة معه ، وكان الحمو يحب الابنة كثيراً . اعتنى الاب بابنته كعناية الأم الطيبة ، وعندما كان يذهب إلى الحقل كان يأخذها معه .

كان كل أمله أن يلقبوه بلقب " أبي حليمة " ، لكن أهل القرية كانوا أشراراً ، ولم يرغبوا في إسعاده ، وظلوا ينادونه بلقب " حمي الجمل " .

أما أنا – الكاتب – فكنت أناديه دائماً بلقب " أبي حليمة " ولذلك أحبني ، وجاء لحراسة بستاني ، وكان يأتي معه بابنته " حليمة " ... وعندما كان يرعى " حليمة " كانت دموع السعادة تنهمر من عينيه على وجهه الدميم .

الأقصوصة الثالثة : الموت المفاجئ "موت القبلة"

(من التراث)

[أ]

كان الشيخ خليل يسكن بلدة حوران منذ زمن طويل ، كان ثرياً ؛ يضع جرار الفضة والذهب في كل مكان . مخازنه ملآنة بالقمح والشعير ، يمتلك أرض شاسعة وأغنام بلا عدد، أفراسه من أفضل أفراس العرب ، أبناء قبيلته من أشجع الرجال تهابهم القبائل. لم يختصمهم أو يسرقهم أحد، ومع هذا كانت القبائل تحقد عليهم لثراء الشيخ خليل . لكنه كان مسكيناً فعندما يتناول الشيوخ سيرته كانوا ينظرون إلي السماء بخوف ويقولون : "سوطفر الله العزيم ": (استغفرالله العظيم) . ولما كان الصغار يتحدثون عن الشيخ ، كانت تعلو وجوههم إبتسامة باهتة سرعان ما تزول و تخفق قلوبهم ؛ حيث كانت تتمثل مأساة الشيخ خليل في أن أولاده كانوا يولدون أصحاء أقوياء وعندما يبلغون الثالثة عشرة من عمرهم وينظرون لأية امرأة كانوا يموتون من النظرة الأولي « القبلة الأولي » !

مات بهذه الطريقة الابن الأكبر ؛ أشجع أبناء حوران . ومات أيضاً الابن الثاني أذكي أبناء حوران ، وبنفس الطريقة مات الابن الثالث ؛آخر أمل للقبيلة . ولما ولد الابن الرابع، ابن الشيخوخة ، جاء شيوخ القبيلة إلي الشيخ خليل وقالوا له : « يجب أن نبحث عن مشورة ، فإذا فقد الابن الأخير من سيكون شيخنا ؟! » ... مكث الشيوخ ثلاثة أيام وثلاث ليال يتباحثون في الأمر ، ثم قرروا أن يرسلوا لإستدعاء الشيخ

الجليل .

[ب]

ذهب الرسل ثم عادوا من طريق طويل بعد سبعة أيام ومعهم الدرويش وروى خليل والشيوخ مأساتهم وآلامهم له فقال لهم الشيخ المسن : « اغسلوا أرجلكم جميعاً لنصلي لله» ففعل الجميع ما أمر به . وبعد الصلاة أمر الدرويش بإخراج كل الموجودين وبقي هو والشيخ خليل وحدهما في الخيمة ، واقترب الدرويش من الشيخ وأسر له بأشياء في أذنيه فاندهش الشيخ قائلاً : " وكيف يمكن هذا ؟! " قال له الدرويش :" ممكن ، لأن كل شيء بيد الله . " لم يعرف أحد شيئاً مما قاله الدرويش في تلك الليلة .

وفي صباح اليوم التالي قام الشيخ خليل بطرد كل النساء ، ومعهم أم الولد الوحيد . بكت المرأة وصرخت وقبلت قدمي الزوج ، لكنه لم يشفق عليها. تركت المسكينة الزوج والابن الأخير وذهبت حيثما ذهبت . وقام الشيخ بنقل خيمته خارج هذا المكان ؛ بعيداً عن خيام القبيلة . ترك عمله ليعتني بالصغير بنفسه، كان يحلب الأغنام ويعطي الولد ، وظل على هذا الحال لسنوات، بقيا وحيدين داخل الخيمة . لم يذهبا لخيام القبيلة ولم تأت امرأة إليهما وكبر الصبي .

كان الصبي يجلس مع الشيوخ في المساء يستمع لكلامهم ويستفسر منهم بحكمة ، فرح به الشيوخ وأبناء القبيلة . كانت فرحتهم مخلوطة بالخوف ، يتساءلون وماذا بعد أن يكبر الصبي ؟ كانوا يراقبونه كل يوم في خوف .. وكان الصبي هادئاً لا يعرف الخوف .. كبر الصبي وبلغ الثالثة عشرة سنة من عمره فأقام له الشيخ

وليمة ودعا إليها كل القبيلة والشيوخ المجاورين لهم ، وبدأ الشيخ خليل يعود بالتدريج لأعماله وكان الابن يساعده . فقال رجال القبيلة لأنفسهم :" الله يرحمنا ..فليعش الصبي هذه المرة " لكن الله له تدبيره . وذات يوم دخل الابن لخيمة أبيه وقال بصوت يرتعد :

- يا أبي ! لقد رأيت شيئاً .

دهش الشيخ و سأل بخوف :"هل ذهبت إلي الخيام ؟!"... ألا تعلم أنني أمنعك من الذهاب إلي هناك . فقال الصبي :"لم أذهب للخيام يا أبي ، فقد ذهبت إلي الحقل ورأيت إنساناً ، لكنه ليس برجل . هذا الانسان يحمل جرة ماء فوق رأسه...رأيتها و بدأ قلبي يخفق ولم أستطع الوقوف ، فذهبت في أثرها حتي الخيام .

قال الأب : "وماذا بعد ؟ "

قال الابن : " دخلت لإحدي الخيام وبقيت وحيداً .. قلبي يخفق بشدة وجئت مسرعاً أقص عليك ما حدث" . فبدا علي وجه الشيخ الأسى وقال:"يابني! لا تخرج من الخيمة ! ولا تنظر لأي إنسان ليس برجل فالأمرخطير عليك ". قال الصبي :" لماذا يا أبي ؟ " قال الأب : إنه الشيطان ، اذا لمسته ستموت علي الفور . و منذ ذلك اليوم لم يخرج الولد من الخيمة ، وحافظ عليه أبوه كثيراً . فكان الشيخ يسمع الصبي يتقلب من جانب لآخر ولا يستطيع النوم في أوقات متأخرة من الليل .

- يا بني !

- نعم يا أبي .

- لماذا لم تنم ؟

- لا استطيع .

- لماذا ؟

- الشيطان !

- قم للصلاة يا بني !

وكان الاثنان يقومان للصلاة و يبكيان طلباً لرحمة الله . مرت الليالي وذات ليلة فرح الشيخ عندما رأى الابن نائماً ، فرقد هو الأخر طلباً للراحة. وفجأة ، صرخ الابن في نومه صرخة مدوية .

- يا بني ! ماذا بك ؟

- يا أبي ! يا أبي ! لقد نمت . لم أستطع النوم منذ ليال والآن نمت وحلمت حلماً رأيت الشيطان قد جاء إليّ واقترب مني فقبلته !

- وماذا بعد؟

- أردت أن أزيده قبلاً فهرب ، طاردته فسقطت وصرخت ...

خفض الشيخ رأسه وانهمرت الدموع من عينيه قائلاً لنفسه : لا جدوي مما صنعت ، لم تساعدني كل تضحياتي . وفي الصباح خرج الشيخ إلي الحقل وأوصي ابنه ألا يخرج من الخيمة ، لكنه عندما عاد لم يجد الصبي وعاد إليه الابن في المساء يرتعد فسأله الأب :

- أين كنت ؟

- كنت في الخيام .. لم أستطع البقاء هنا ...

جذبني الشيطان شدني .

– وماذا بعد ؟

– قبلته – احمرت عينا الابن كالنار – يا أبي ، لماذا كذبت عليّ ؟

– لم أكذب عليك يا بني ، فالأمر لله .

في تلك الأثناء دب أمل جديد في خاطر الشيخ، فها هو ذا لا يزال حياً رغم أنه قبلها ، ربما لا يعاقبه الله هذه المرة . أما الابن فبدا شاحباً ضعيفاً ، وأخذ يضعف يوما بعد يوم ، لا ينام الليل ، لا يأكل بالنهار والشيخ يتطلع إليه وقلبه يتمزق ألماً . وفي يوم ما قال الابن :

يا أبي ! لم أعد أحتمل ، فلتسمح لي بالذهاب هذه المرة أيضاً .

نظر الأب إليه بإمعان وقال له : اذهب !

ولما عاد الابن كانت عيناه قد احمرتا كالنار وبدت ضعيفة . فخطر ببال الشيخ أنه قبّل هذه المرة أيضاً ولم يمت ربما يغفر له الله .

وفي الصباح كان الابن لا يزال ضعيفاً خائر القوي ، شاحب النظرات . ظل راقداً في الخيمة لعدة أيام وفي إحدي الأمسيات قال لأبيه :

– مرة أخري يا أبي ... قبلة واحدة ... أنا لا أستطيع .

– قال له الأب : الله يحميك ونبيه !

انتظر الأب في الخيمة ، ولم يعد الابن . خرج الأب ليري مذا حدث له ، رأي علي بعد رجالاً يمسكون به ، دخلوا به للخيمة ، وضعوه علي الأرض ، أحمر العينين ، خائر القوي . لا يستطيع الابن الوقوف علي قدميه.

سأله الأب : ماذا بك ، يا بني ؟

الابن صامت ، لا يزال يتنفس ، العينان حمراوان ، أما الجسد فميت ...ومع ضوء الصباح لفظ الابن أنفاسه .

الأقصوصة الرابعة : بنت الشيخ

[أ]

مجموعتان من البيوت متراصتان فوق هضبة كفريقين متحاربين . تقع بيوت قبيلة "جبلي" عند منحدر الهضبة وهي بيوت قديمة لكنها جميلة ، تحيط بها الأشجار الكبيرة وخلفها بساتين الزيتون والتين . وتقع بيوت قبيلة "شهلي" علي قمة الهضبة وهي أقل عدداً ، لاتوجد أشجار حولها ومن خلفها مزارع قليلة غير جميلة .

القبيلتان – جبلي وشهلي – علي خلاف فيما بينهما منذ أيام الشيخ إبراهيم ؛ شيخ قبيلة جبلي ، والشيخ عبد الله شيخ قبيلة شهلي وحدث خلاف في يوم ما بين الشيخين حول قطعة أرض .

كان أبناء قبيلة جبلي الأكثر و الأقوي ، وكانوا يطاردون أبناء قبيلة شهلي ويضطهدونهم؛ لذلك خرج أبناء قبيلة شهلي وبنوا بيوتهم فوق الهضبة . مات الشيخان – إبراهيم و عبد الله ولم يمت الخلاف بين القبيلتين ، لم يكن مسموحاً أن تتواجد قبيلة في مكان فيه الأخرى . لا يتحادثون ولا يتزاوجون وعندما تذهب النساء ليوردن الماء من البئر الواحدة كن يقفن بعيداً عن بعضهن ، حتي في حالة الوفاة لا يدفنون في مكان واحد .كانت النساء في قبيلة شهلي تلد البنات أكثر من الأولاد لذلك كانوا أضحوكة في نظر القبيلة الأخري ، وكانوا ينادون الواحد فيهم بلقب " أبي البنت ".

وقديماً قالوا :" إن في الشر خياراً " فالبنات في قبيلة شهلي لم يكن لهن مثيلات في الجمال والذكاء والجسارة في كل المنطقة . عندما كان القتال ينشب بين القبيلتين كانت بنات شهلي تساعد في القتال فيضحك رجال القرى الأخرى علي أبناء قبيلة جبلي ويتقولون عليهم بأن النساء انتصرن عليهم . وكان الفتيان يسارعون في طلب الزواج منهن ، وكان لزاماً علي من يتزوج من إحداهن ألا يذهب للجندية ولا إلي قراهم للدفاع عنهن ، يقيمون مع آباء الزوجات عوضاً عن الأبناء الذين لم يولدوا لهم. ولما رأي أبناء قبيلة جبلي أن الفتيان يزدادون في قبيلة شهلي التي يعادونها أسرعوا يطلبون الزواج من بنات شهلي . عرضوا المزارع والأرض و الأغنام للفوز بإحداهن، لكن الشيوخ كانوا يتخوفون من الموافقة .

[ب]

كان لخليل ابن الشيخ عبدالله بنت وحيدة رائعة الجمال تدعي فاطمة . لها عينان سوداوان جميلتان من ينظر فيهما يبدو نشواناً . وكان الفتيان يقفون بالساعات لرؤية فاطمة وهي تمر أمامهم ، للنظر إلي عينيها و سماع صوتها الذي يشبه سلاسل الذهب . حتي النساء أحببت ضحكة فاطمة قبل الرجال ، وكانت النساء تطلب منها الضحك ، فتضحك و تضحك النساء معها إعجاباً بها . و ذات يوم تحدثوا في القرية عن الابن الصغير ابن شيخ قبيلة جبلي بأنه كان يحب فاطمة ، وهي أيضاً تبادله الحب . غضب أبناء شهلي و اندهشوا و لم يصدقوا هذا الأمر وتساءلوا : هل الابنة الوحيدة لشيخهم ، جميلة الجميلات تتزوج من الفرس الغريم ؟! وقرر رجال القبيلة

ألا يذكروا شيئاً لوالدي فاطمة المسنين ، فقد كانا يحافظان عليها ككنز .

جاء فتيان كثيرون من القري المجاورة يطلبون يدها ، لكنهم كانوا ينتظرون الأفضل والأغني والأحسن . اندهشوا عندما رأوا وجه فاطمة غاضباً بعدما بدأ الفتيان في المجئ، وقرر أبناء شهلي الحفاظ علي فاطمة وهددوها بالقتل إذا رأوها مع ابن جبلي . وبعد عدة أسابيع بدأ الحديث في القرية عن فاطمة الحبلى وكانوا يذكرون هذا الأمر في البداية بخوف غير مصدقين الأمر كله . قالوا ربما ما يدور مجرد حكاية ليست حقيقية. ولكن فاطمة بدا عليها الغضب أكثر وأكثر ، ولم يعد لعينيها ذلك البريق . تناقل الصغار الحكاية حتي وصل الأمر إلي مسامع الشيوخ ، الكل عرف بالأمر ما عدا خليل وامرأته والدا فاطمة - كانا لا يزالان في إنتظار العريس المناسب لإبنتهما .

[ج]

عادت فاطمة ذات يوم من البئر تحمل الجرة علي رأسها قابلتها النساء يحملن أيضاً الجرار . حملقن فيها من كل زاوية تحسسن بطنها وصرخن قائلات : ستجلب علينا العار ... ستجلب العار علي بنات شهلي ... إنها لعينة . سكتت فاطمة ، إبيّض وجهها وامتلأ بالخوف ، لم تنطق بكلمة ، لم تتوسل لهن ، لم تبك . قالت النساء بصراخ : أخبرينا أيتها اللعينة ممن تحبلين؟ قولي ليموت بدلاً منك . تلوّن وجه فاطمة ولم تنطق . تحسرت النساء علي جمال فاطمة وجسارتها ودهشن من سكوتها . ألقت إحداهن الجرة علي رأسها ، وبدأن الباقيات يصرخن ويلقين بجرارهن عليها ، فاطمة هادئة ، لاتتكلم و لاتصرخ ولاتنطق . ثم سقطت فاطمة علي الأرض ، ولا تزال النساء

تضرب علي الرأس والظهر والبطن ... فاطمة لا تتحرك ... لقد ماتت والنساء تضرب وتضرب ، تصرخ وتضرب .

الأقصوصة الخامسة : عبد الهادي

[أ]

ولد عبد الهادي في قرية صغيرة ، تتكون من عدد من البيوت تقع فوق الصخور وسط جبال يهودا[٢] و تبعد عن الأماكن المجاورة والطرق الكبيرة .

مرت سنوات و لم يأت للقرية أي غريب ، فكانت القرية تجهل ما حولها . كانت الأرض الزراعية محدودة ، والأغنام كثيرة. و يعمل أبناء القرية في الرعي و لا يعرفون شيئاً سواه. يجهلون أخبار الحكام والأبطال .

يتحدثون عن بطل واحد سمعوا عن اسمه وهوإبراهيم باشا [٣] . كان الشيوخ يجلسون سوياً ومن حولهم أطفال القرية ينصتون لشجاعة هذا الحاكم والكل يستمع ويعيش ذلك الزمن مع الشيوخ .

وكان الراوي لهذه الجلسات هو الشيخ صالح ؛ الذي اشترك مع جيش إبراهيم باشا في الحرب وذهب معه إلي عكا وحرمون ودمشق وغيرها ، وهو والد عبدالهادي. كان الشيخ صالح يحكي عن فرس البطل المدهشة التي لم يستطع أي جواد آخر اللحاق بها ، ولم تصبها أية رصاصة . وروى الشيخ صالح عن بندقية إبراهيم باشا العجيبة وعن الرصاصات التي لا حصر لها التي أطلقتها ، وأنها لم

٢- تقع جبال يهودا في الجزء الشمالي من فلسطين ، وكانت قديماً تابعة لمملكة يهوذا التي كانت عاصمتها اورشليم ، وكلمة يهودا نسبة إلي يهوذا بن يعقوب أحد أسباط بني إسرائيل .

٣- إبراهيم باشا هو ابن محمد علي والي مصر، انتصر علي العثمانيين في قونيه ١٨٣٢م واحتل فلسطين وسوريا وقد عاونه الأمير بشير الشهابي الثاني أمير لبنان وتحالف معه ضد الأتراك . وقد انسحب إبراهيم باشا عائداً إلي مصر بضغط من الدول الأوروبية عام ١٨٤٠ م .

تخطئ مرة واحدة . كان الشيخ صالح يحكي وأبناء القرية ينصتون في صمت ومعهم عبد الهادي . وكان عبد الهادي يحلم بهذا البطل وبالبندقية العجيبة التي يمتلكها والده . ولما مات الشيخ صالح حصل عبد الهادي علي البندقية ، التي حارب بها والده مع جيش إبراهيم باشا ، فغار منه كل الفتيان . وأدرك عبد الهادي أن حظه كان كبيراً ،فتدرب علي البندقية جيداً وأتقن إستخدامها .

وذاع صيت هذه البندقية بين أبناء القرية والقري المجاورة الواقعة في الجبال ، مما دفع عبد الهادي للحفاظ عليها أكثر وأكثر . مرت السنون وتزوج عبد الهادي وأنجب أولاداً وأحبهم . وكان أبناء القرية يقولون أن عبد الهادي كان يحب البندقية أكثر من حبه لإمرأته وأولاده وأغنامه . وقد صدّقوا كلامه وعرفوا قيمة البندقية بعد أن قتل بها ضبعاً .

[ب]

كان الضبع يحوم حول القرية لسنوات ولم يستطع أحد قتله،فشاع بين أبناء القرية أنه ليس بالحيوان السهل ولكنه من نوع شيطاني . كانوا يخشون الخروج ليلاً من القرية خوفاً من ذلك الشيطان . فهب عبدالهادي لقتله ، مكث الليل بجوار مغارته ولما خرج قتله برصاصة واحدة فاعتقدوا أن بندقيته أيضاً ليست بالعادية . وبالتدريج بدأوا في دعوة عبدالهادي للقرى الأخرى لقتل الضبع ، وكان يعود منتصراً في كل مرة .

واقترن الحديث عن عبدالهادي بالحديث عن بندقيته التي لا مثيل لها . وكان يعيش

في تلك النواحي شيخ ثري قد سمع عن هذه البندقية و أراد أن يشتريها فنادى عبد الهادي و قال له : "بع لي بندقيتك !" لم يرد عبد الهادي عليه و هزأ منه في باله فقال له ذلك الشيخ :" سوف أعطيك فيها عشر ليرات ذهبية ". اندهش عبدالهادي عندما سمع عن هذه النقود الكثيرة التي لم يرها حتي في أحلامه ، وقف برهة و رأسه يتدلي ثم اعتدل في وقفته و قال : كلا. لقد خدمتني هذه البندقية ربع قرن فكيف أبيعها ؟ لم يعرفوا صناعتها سوي في أيام إبراهيم باشا ... كلا لن أبيعها فهي كرامتي و لا تقدر بمال . غضب الشيخ ولم ينس ما فعله عبدالهادي و بعد فترة دعاه ثانية قائلاً له :اعطني البندقية لئلا آخذ ابنك للجندية ! أنصت عبدالهادي ووقف مندهشاً ، حيث يمكنه إنقاذ ابنه . فذهب لإحضار البندقية للشيخ ، وما أن لمسها حتي أدرك أنه لن يفعل ذلك . لن يعطيها له . وخرج عبدالهادي من بيت الشيخ وقلبه يعتصر من الألم . بكت زوجته ليل نهار لينقذ ابنه ويعطي البندقية للشيخ . أما الابن نفسه فلم يقل شيئاً ، كان يحملق في أبيه بعينين واثقتين آملتين . وكانت هذه النظرة قاسية علي عبدالهادي أكثر من نحيب زوجته . ومع هذا لم يفرط في البندقية ، انتصرت البندقية و ذهب الابن للجندية .

[ج]

و اذا بكارثة تلو الأخرى ...

دعوا عبدالهادي لقتل ضبع في احدى القرى القريبة . كان هذا الضبع قد تسبب في حوادث كثيرة لهذه القرية و لم يستطع أحد قتله . و ما أن وصل عبدالهادي لهذه القرية و رأى الرجال هذه البندقية القديمة حتي سارعوا بإحضار بندقية جديدة له. سخر منهم عبدالهادي و قال : " أتستبدلون بندقية إبراهيم باشا ببندقية أخرى ؟ !". وفي الليل عندما خرج الضبع ، رفع عبدالهادي بندقيته وصوبها نحو رأس الحيوان ثم رماه فلم تخرج الرصاصة . خدعته البندقية لأول مرة بعد ربع قرن . تقدم الضبع نحو عبدالهادي ، فارتعد المسكين ولم يستطع تحريك يده أو قدمه ، لم يقدر علي حشو البندقية برصاصة جديدة . ولما اقترب منه فجأة غيّر إتجاهه وعاد لمغارته ، في تلك الأثناء تحول شعر عبدالهادي للون الأبيض وعاد بشعره الأبيض إلي قريته قائلاً لنفسه : ربما كانت هذه من قبيل الصدفة ، فلا توجد بندقية مثل هذه في الدنيا .

[د]

وفي أحد الأيام عاد إلي القرية ابن الثري الذي كان يريد شراء بندقية عبد الهادي ، وقد زار هذا الابن مدناً كبيرة مثل يافا والقدس وبيروت والأسكندرية . التف من حوله أبناء القرية لسماع ما يرويه الصغير عن الدنيا التي رآها . تحدث عن السفن والقطارات التي تسير بلا جياد وعن البنادق والمدافع الجديدة والحديثة ، ثم

أخرج بندقيته الحديثة وأطلع الجميع عليها واقترب من عبد الهادي وقال له :

" لقد أراد أبي أن يشتري بندقيتك بعشر ليرات ذهبية ، أما أنا فلا آخذها ولو هدية ، لأن مكانها الآن المزبلة ! "

غضب عبد الهادي بشدة ، فلو أنه سمع هذا الكلام عن زوجته وأبنائه ما غضب هكذا . إبيّض وجهه وارتعدت يداه لكنه خشي الرد علي ابن الثري ، فلم يقل ما بداخله ، وقال له : " لا أعطيك بندقيتي حتي لو أعطيتني عشر بنادق كالتي معك ".

فقال له ابن الثري : " إن بندقيتك تكفي لقتل الكلاب ! "

فرد عليه عبد الهادي بغضب قائلاً :

" إن بندقيتي أفضل لأنها الأقدم ، ولا يصنعون مثلها اليوم لقد صنعوها أيام إبراهيم باشا " .

ولما رأي أبناء القرية أن شجاراً سيحدث بينهما اقترحوا عليهما أن يجربا ويتباريا ليروا أية بندقية تطلق أبعد ؟ وافق الاثنان وخرجا للحقل ليجربا البنادق . وضع كلاهما هدفاً بعيداً وأطلقا فأصابت بندقية ابن الثري الهدف أما رصاصة عبد الهادي فقد سقطت في منتصف المسافة .

[هاء]

طمأن عبد الهادي نفسه بأن بندقيته قد لا تطلق بعيداً لكنها لا تخطئ الهدف، ومع هذا لم يهدأ نفسياً لأيام . وفي تلك الأثناء عاد ابن عبد الهادي بعد أن خدم في الجندية لمدة ثمان سنوات ، وأتى أبناء القرية للترحيب به وسماع أخبار الدنيا منه . حكى الابن عن البواخر والقطارات والبنادق الجديدة التي في الجيش ، كان أبوه يستمع لحكاياته ، ولما ذكر الابن البنادق ضحك الأب وقال :

" بنادقكم الجديدة تطلق أبعد من القديمة ولكن ما الفائدة؟ إنها لا تصيب الهدف، فقد عرفوا صناعة البنادق الجيدة أيام إبراهيم باشا ".

فقال له الابن :

" نعم يا أبي ، لكن بندقيتك لا تخطيء لأنك أنت الذي تصوب بها ، خذ يا أبي بندقيتي وحاول التصويب بها وسترى بنفسك الفرق بين الجديدة والقديمة ."

غضب الأب عندما سمع هذا الكلام من ابنه ورفع يده ليضربه لكنه في نفس الوقت كان يفكر في كلام الابن الذي لم ينسه .

[و]

وعندما نام أبناء القرية في الليل ، نهض عبد الهادي وخرج من القرية يحمل في يديه البندقيتين ؛ القديمة والجديدة وذهب لمكان لا يراه فيه أحد ، ذهب ليعرف من الأصدق ؟ وليثبت أن بندقيته هي الأفضل . تناول عبد الهادي البندقية القديمة وصوبها نحو عدد من الأشجار بين الصخور ، ثم تناول بندقية ابنه وصوبها

نحو شجرة أخرى . وقام من مكانه وذهب للشجرتين ونظر فيهما ، ثم خفض رأسه وعاد ثانيةً للبنادق ليجربها مرة أخرى وذهب ليرى الأشجار .

ونظر هذه المرة لأسفل أيضاً . وبعد أن جرب البنادق للمرة الثالثة ، أخذ عبد الهادي بندقيته -- التي لم يوافق علي بيعها بنقود كثيرة ولم يشتر بها حرية ابنه – وألقى بها من فوق قمة الجبل لأسفله . وعاد عبد الهادي لبيته مع ضوء الصباح وفي يده بندقية واحدة هي بندقية ابنه . لم يره أحد في ذهابه ولا في إيابه ولم يعرف أحد سر مرض عبد الهادي المفاجئ بعد ذلك اليوم .. ومات عبدالهادي بعدها بأسبوع .

الأقصوصة السادسة : الأخذ بالثأر

[أ]

كان الشيخ إ براهيم – من عائلة أيوبي – يصلي فوق سطح بيته ، ولّي وجهه شطر الجنوب ؛ حيث قبر النبي (ص) في مكة البعيدة .شطح الشيخ في صلاته عندما رأى في السماء سحابة علي شكل اليد ولها أصابع طويلة ، وتتساقط من الأصابع قطرات من الدم . خيِّل إليه أن اليد إنما تقطر الدم علي رأسه فقال "سوطفر الله العزيم " [استغفر الله العظيم] .

كانت دعوته صادرة من أعماقه بصدق ، فقد كان يناشد القبر المقدس طالباً منه الرحمة ؛ ذلك القبر الموجود في الجنوب ، ويبتهل لله الواحد في السماء .

غربت الشمس ، اختفت السحابة ، لم يعد الشيخ الحاج إبراهيم خائفاً . اعتقد أن السماء سمعت ابتهاله ، خيم الظلام علي قرية عيون . الفلاحون عائدون من عملهم في الحقل تسبقهم الحمير والجمال التي تحمل المحاريث علي ظهورها ،يتجمع الفلاحون حول نبع الماء للا غتسال من غبار اليوم ولسقي الحيوانات . أنهى الشيخ صلاته ، وطوي سجادة الصلاة ووضعها في ركن علي السطوح ، ثم هبط الدرج إلي حوش البيت وجلس عند الباب . تناول النرجيلة ، تحت شجرة التين الجميلة ، وضع طرفها في فمه وبدأ يدخن وهو ويتطلع للفلاحين العائدين من العمل ، فالكل يعمل لديه. لقد ورث الأرض عن آبائه ، والأرض تعطيه دخلاً من الغلال ، يخصص جزءاً من دخلها لمزارعيه وتشرف علي الزراعة البنت الوحيدة الموجودة في البيت . خيم الظلام علي القرية والجبال ، و هدأ قلب الشيخ واستراح ونسي تلك السحابة التي

كانت تقطر الدم .

[ب]

القرية هادئة . ينصت الشيخ لأصوات الفلاحين والحيوانات والأوامر التي تعطيها ابنته في الحوش . ويسمع باب الحوش يفتح لاخراج الحيوانات للرعي ليلاً في الحقل ، وعاد الهدوء للحوش ثانيةً . اقتربت البنت من الشيخ ، وكانت البنت طويلة وجميلة ، وكانت تمسك مفاتيح البيت في يدها ويتبعها رئيس الزراع ؛ فلاح قوي ، وقالت للشيخ : " بارك الله ليلتك يا أبي ! " ثم قبلت يد أبيها المسن وفعل مثلها المزارع. فقال لها الشيخ : " باركك الله أيتها الابنة الشجاعة !"

وأعطته مفاتيح البيت وأخبرته بأن كل شئ مغلق و آمن وأن الله منحنا اليوم خيراً وفيراً في الحقل والحيوانات وعمل الفلاحين . أخذ الشيخ المفاتيح وعلقها علي شجرة التين قائلاً : الحمد لله علي هذا الخير الوفير ، ثم قالت البنت ومعها المزارع :

لا إله إلا الله وسعيدنا (وسيدنا) محمد رسول الله (ص) وبارك الشيخ ابنته والمزارع قائلاً : طابت ليلتكما ! ودعاهما للجلوس أمامه فردا عليه : وطابت ليلتك !

واقترب منهم أحد الزراع يحمل إبريق ماء وسكب منه علي أيدي الثلاثة الجلاس ، ثم أخذوا يجففون أيديهم في أطراف أثوابهم . وذهب الفتى وجاء آخر - عبد أسود البشرة - يحمل صينية كبيرة عليها أنواع شتى من الطعام فوضعها أمامهم وذهب لحال سبيله.أمسكوا بكسرات الخبز وغمسوها في الأطباق وأكلوا في هدوء . لم يتحادثوا أثناء الطعام ولما أنهوا طعامهم دخل العبد ثانيةً وأخرج الصينية الفارغة ثم جاء آخر بإبريق ماء فغسلوا أيديهم وأفواههم وقال الشيخ : الحمد لله ، فكرر الاثنان

ما قاله . تناول الشيخ النرجيلة ودخن قليلاً وقال : "هل رأيتم اليد التي تقطر الدم قبل الغروب ؟! "

فسألاه : يداً ! أية يد ؟

– ألم تروا أية يد ؟

– كلا . لم نر شيئاً .

خفض الشيخ رأسه وصمت قليلاً ثم قال :

" يبدو أنها علامة من أجلي أنا فقط " .

فقالت الابنة : " وما هذه العلامة يا أبي ؟ "

قال الأب : " علامة الحرب ... يبدو أن حرباً ستنشب في البلاد " .

وكان الشيخ يفكر في تلك الأثناء ملياً ويتساءل في نفسه قائلاً : إن الحرب آتيه عليه ولكن سيحارب من ؟ ومن سيحاربه ؟

[٤]

ذهب رئيس الزراع للحوش لينام . الابنة [illegible] مقامها فوق السقف ونامت [illegible] العبد الأسود بترتيب فراش الشيخ [illegible] القرية و [illegible] الشيخ ، ظل جالساً تحت شجرة التين ، النرجيلة في فمه ، تتزاحم الأفكار [illegible] يفكر في علامة السماء .

عندئذ تذكر الشيخ شيئاً [illegible] ابنة [illegible] من ابنة شيخ قرية "دهرية" وكان الشيخ رئيس [illegible]

من كل صوب ؛ أبناء قريتي "عيون" و"دهرية" يمتطون جيادهم ، لم يروا إحتفالاً مثله . أطلق الشباب في ذلك اليوم آلاف الرصاصات ، سقطت الجياد من كثرة التعب . وكان بطلا الحفل هما العريس و العم الأصغر للعروس كانا وسيمين قويين . كانت الفتيات تقول إنها عروس محظوظة لأن لها عريس كهذا وعم كهذا أيضاً . و تتدرن الفتيات بكلام مفاده أن العروس كانت ترغب في عمها (!) . أكثر من رغبتها في عريسها وأن الجميع يعرفون أن العم الصغير كان يحب ابنة أخيه ويريدها زوجة له (!) لكن والدها أراد أن يزوجها من قبيلة الشيخ الحاج إبراهيم ؛ من عائلة أيوبي فأعطاها لابنه الوحيد . وعندما ركبت العروس الجميلة علي الجمل في طريقها من بيت أبيها إلي بيت عريسها حدثت الكارثة [illegible] الشيخ إبراهيم مملوءاً بالخوف قبل العرس بيوم ' فقد رأى نجوماً تتهاوى من السماء ثم رأى طيراً أسود اللون يطير فوق رأسه . لم ينم ليلته وأعلن في الصباح رفضه العرس لأنه رأى رؤيا غيرطيبة مرسلة إليه من السماء . سمعت امرأته [illegible] فصرخت فيه قائلة : كيف يمكن رفض العرس وكل شيء جاهز له ؟! وسمع [illegible] ، فقد كان وجهه شاحباً . نفذ الأب رغبة الزوجة والابن ولم يرفض [illegible] وخرج مع الجميع لإستقبال العروس . و هم في الطريق سعداء جاء [illegible] الأسود ثانياً وحلّق فوق رؤوس الرجال ، لم يعرفه الشباب ولم يروا مثله من [illegible] رؤوسهم ، أما الشيخ إبراهيم فقد [illegible] قلبه ، فهو نفس الطائر [illegible] فوق شجرة التين في بيته . فقال الشيخ مجأة ' " مَن من الشباب [illegible] الطائر وقتله برصاصة واحدة [illegible] الشيوخ وقبل أن [illegible] طلقات من بندقيتين ' بندقية العريس وبندقية

عم العروس . كانت الرصاصة الأولي من بندقية العريس والتي سقط بعدها الطائر علي الأرض كالحجر وسادت البهجة . وبعد لحظات تحولت البهجة إلي فزع فقد كان العريس يجلس فوق فرسه والدم يسيل من رقبته . لقد أصابته الطلقة الثانية التي أطلقها عم العروس من بندقيته يبدو أن الفرس قد انزعجت من الرصاصة الأولي فقفزت لأعلي أثناءاطلاق الرصاصة الثانية .

فصاح فرسان عائلة أيوبي : الثأر .. الثأر !

أمسك الجميع بالبنادق والسيوف وتدفقوا نحو رجال قرية دهرية ، وكان عم العروس يجلس في تلك الأثناء علي فرسه شاحباً ، يلتف من حوله شبان عائلة "صلحي" كالطوق . و نشب القتال بين العائلتين الكبيرتين ؛ القتال الذي لا يعرف أحد كيف أو متي سينتهي ؟!!

[د]

كان قد حضر للعرس آنذاك الشيخ أبو رشيد وهو من أقارب عائلة أيوبي وجاء من حبرون [الخليل] ، وكل هذه البلاد تعرف قدره وتوقره . خرج الشيخ أبو رشيد ووقف بين القبيلتين وقال بصوت عال للجميع : " قفوا ! لاتتحركوا من أماكنكم ! " وقف الشبان ولم يتحركوا لأنهم يخشون هذا الشيخ الجليل ، ثم قال الشيخ :" باسم الله وباسم نبيه .. لا تلمسوا أسلحتكم يا شباب عائلة أيوبي ! لاتسفكوا الدم البرئ ! لاتجلبوا مصيبة علي هذه البلاد ! فعيوني لاتزال ترى جيداً وأعرف أن ما حدث كان بغير قصد . لم يقصد عم العروس ما صنعه . ليجتمع شيوخ القبيلتين الليلة ونحتكم فيما بيننا وما سوف يتقرر هو ما سيحدث ".

أطاع شباب عائلة أيوبي كلام الشيخ أبي رشيد بالرغم من أن قلوبهم كانت حزينة غاضبة . حملوا الميت في صمت ونقلوه علي فرسه إلي القرية. سار وراء الفرس الشيخ إبراهيم الذي وخطه الشيب في لحظات وكان يسير إلي جواره الشيخ أبو رشيد ، وركب أبناء عائلة صلحي ظهور جيادهم عائدين إلي قرية دهرية .

[هاء]

جلسوا في المساء للتقاضي ؛ اثنا عشر شيخاً من عائلة أيوبي مع اثني عشر شيخاً من عائلة صلحي ، يتوسطهما الشيخ أبو رشيد . تحادثوا طوال الليل في هذه القضية الصعبة ، قاموا من أماكنهم مرات ومرات دون التوصل لقرار . وبات واضحاً أن قتالاً ضارياً سينشب ويملأ البلاد دماءً . كان أبناء عائلة أيوبي يطالبون بحياة القاتل - عم العروس - ولم يرضخ أبناء صلحي لهذا الطلب . لذ لم يسمح لهم الشيخ أبو رشيد بترك المكان ولم يهدأ حتي توصلوا لحكم في هذه القضية يقضي بأن يهرب القاتل إلي الجانب الآخر من نهر الأردن ويظل هناك عشر سنوات كاملة، وأن تترك العروس بيت أبيها وتعيش في بيت الشيخ إبراهيم - حميها - وتكون له ابنة عوضاً عن الابن الذي قُتل ، ولا تتزوج إلا بموافقته .

كما يقضي الحكم بأن يذهب أبناء عائلة صلحي إلي قرية عيون في نفس هذا اليوم ويأتون معهم بخراف لذبحها هناك ويأكلون مع أبناء عائلة أيوبي . وأن يذهب أبناء عائلة أيوبي في اليوم التالي إلي قرية دهرية ويحضرون معهم أيضاً الخراف لذبحها هناك .

ثم تقطع العائلتان عهد سلام وصفح ينص علي عدم سفك الدماء ، ويلزم كل طرف داره وعمله . وترك عم العروس بيته وقبيلته وقريته وذهب عبر الأردن ، وجاءت العروس للاقامة في بيت الشيخ إبراهيم . وبقي الشيخ الجليل أبو رشيد في بيت الشيخ إبراهيم شهراً لأنه لم يشأ ترك القرية التي تشتعل فيها القلوب من الألم ، وقرر بعد الشهر أن يعود إلي بيته .

بدأ أبناء القرى في نسيان هذه الرواية شيئاً فشيئاً ما عدا أم المتوفي ؛ التي لم تستطع نسيان ابنها الوحيد ، فكانت تبكيه ليل نهار حتي لحقت به بعد عام ودفنت إلي جواره . وبقيت الفتاة – العروس الأرملة– في بيت الشيخ إبراهيم ؛ الذي كان لها أباً، وكانت هي تدير له البيت والعمل وكان اسمها راشيا [1] .

تذكر الشيخ كل هذه الأمور عندما كان جالساً تحت شجرة التين في الليل بعد أن رأي السحابة التي تقطردماً من اليد ذات الأصابع الخمس الطويلة .

[د]

عندما أشرقت الشمس في الصباح وخرج الجميع إلي الحقل وأصبحت القرية خاوية ، لم يبق في القرية سوى الشيوخ والعجائز . فقد حان وقت حرثة الصيف والشتل وخرج الجميع لذلك . كان الصمت يخيم علي حوش الشيخ ، فقد نظف العبد البيت ورتبه وأعد فطور الشيخ . وأما الشيخ فقد أتم صلاته ونزل من

١- راشيا : ربما هو الاسم العربي راجية بتعطيش الجيم .

فوق السطوح وجلس مرة أخرى تحت شجرة التين . كان وجهه متعباً ويمتلئ شوقاً . فسأل العبد سيده قائلاً : أيتناول سيدي الفطور الآن ؟ لم يجبه الشيخ ، لكنه لوّح بيده رافضاً الفطور . كان مثقلاً بفكره ، وفجأة رفع رأسه عندما سمع حصاناً يركض في الخارج وتساءل الشيخ عن هذا القادم في الصباح ... وإذا به يسمع طرقاً على الباب ، فقال للعبد اذهب وانظر من الطارق ! ذهب العبد ثم عاد يقول أن أحد البدو يمتطي جواداً ، ويغطي وجهه يطلب رؤية سيدي الشيخ. فقال الشيخ : بدوي ؟! اذهب وافتح له الباب ودعه يدخل على الفور !

فتح العبد الباب وأدخل الرجل إلى الحوش وقام الشيخ من مكانه يدعو الضيف قائلاً له : مرحباً بك في داري .

فقال الضيف للشيخ : بارك الله [illegible] يا شيخ إبراهيم يا ابن عائلة [illegible] !

ولم يكشف البدوي عن وجهه ، لكن عيناه السوداوتان كانتا تلمعان وتنظران في عيني الشيخ بصورة مباشرة [illegible] أبناء قرى الجبال ، فسأله الشيخ . من أنت [illegible] إليك في بيتي ولست في صحراء أو حقل [illegible] قائلاً . لن أزيح الكوفية من على وجهي [illegible] ثم [illegible] الضيف أرضاً [illegible]

في هذه [illegible]

السنوات [illegible] الشيخ

عندما رآه يقف [illegible]

فصاح الرجل الراقد علي الأرض قائلاً : أرجو ألا يمسسني هذا بسوء ، إن لم يرغب الشيخ في رؤيتي في بيته فليقل كلمة واحدة وسأعود علي الفور من حيث أتيت ولن أرجع لبيتي مطلقاً ولن أذهب إلي آبائي الذين لم أرهم بعد ، فقد أتيت إلي هنا مباشرة .

– قم يا بني ! قم لأرى وجهك وستهنأ معي بكل ما وهبني الله من نعم .

فنهض الرجل وقبّل يدي الشيخ شاكراً له ثم نظر في عيني الشيخ بنظرات توسل وقال له : هل صفحت عني ؟ ألا تضمر لي شيئاً ؟

فقال له الشيخ : صفحت يا بني .

ورد عليه الرجل : لقد ألهمك الله بما قلت وأنا من الآن ابنك ، حياتي ملكك ، إن أرسلتني للنار أذهب وإن قلت لي إلق بنفسك في الماء سأفعل، كل ما تأمر به سأصنعه كابنك تماماً... أخذ العبد يجفف دموعه من وجهه الأسود بعدما سمع هذه الكلمات وأسرع نحو البيت ليعد القهوة .

[ز]

مكث الضيف هذا الصباح ، أكلوا من الأشياء الطيبة التي أحضرها العبد وتحادثوا . روى الضيف ما فعله وعما رآه في الأماكن البعيدة خلال السنوات العشر التي انقضت . وحكى له الشيخ عن بيته وعن قبيلته وأخبار قريته ، لاحظ الشيخ أن الضيف أراد مراراً أن يقاطعه ليسأله عن شئ ما ، لكنه لم يفعل .فأراد الشيخ أن يستفسر منه عما يريد معرفته لكن الضيف بادره بحكاية جديدة و لم يمهله السؤال .

قـال الضـيف : مكثت في مكة لمدة ثلاثين نهـاراً وثلاثين ليلة ، صـمت الاثنان عند ذكر المكان المقدس وابتهلا سوياً ثم أضـاف الضيف قائلاً : كل يوم كنت أذهب للقبر المقدس في مكة (؟) و أصلي و أدعو لك بالسلامة وأن تحل البركة عليك وعلي بيتك ؛ كنت أصلي من أجل روح ابنك وطلبت من النبي (ص) شيئاً واحداً ؛ أن تصفح عني وإن لم تفعل أموت ، ودعوت أيضاً لراشيا ... وعندما ذكر الضيف الاسم بهت وجهه وحملق في عيني الشيخ بنظرات فيها توسلات وتساؤلات فقال له الشيخ : لقد سمع النبي (ص) لصلاتك يا بني ، فالسلام عليّ وعلي راشيـا التي جلبت كل الخير لبيتي ..وهنا بادره الضيف بسؤال مباشر قائلاً : هل ... هل ما زالت في بيتك؟ وتوهج وجهه إحمراراً .

فأجابه الشيخ : نعم ، هي في بيتي وتديره ...

.ثم سأله الضيف : ألا تزال .... أما زالت ... كلا ...

فقاطعه الشيخ : ما الذي تريد أن تقوله ؟ أتسأل إذا كانت قد زُوجت ؟ كلا . لقد طلبها كثيرون وأنا وافقت ، لكنها رفضت وقالت لي إن بيتك هو بيتي ولن أبرحه ، يبدو أنها لا تزال تحب عريسها ...

فأحني الضيف رأسه و سكت ثم نظر في عيني الشيخ و قال : الأمر لله... خذ اقرأ هذا الرق ... فهي إرادة الله .

أخذ الشيخ الرق القديم الذي كتبت عليه رسالة و قال : من الذي كتب هذه الرسالة؟ فقال الضيف : ألا تعرفه ؟ إنه الشيخ أبورشيد الذي مات في تلك السنة منذ عشر سنوات . فقال الشيخ : يا حي يا عادل يا الله !! نعم . هذا خط يده

واسمه موقع علي الرق ففتحه و قرأ ما كُتب به :

" إلي قريبي و صديق نفسي الشيخ الحاج إبراهيم من عائلة أيوبي . ما يلهمني به الله سأقوله ، فهذا المخطوط أسلمه اليوم للرجل الذي سيبدأ في شتات بعيد وهو خليل الذي من عائلة صلحي وما أود قوله هو :بعد شتات خليل الذي من عائلة صلحي بعشر سنوات – الله يهون عليه ويعيده لأرض أبائه – إن كان باقياً لذلك اليوم ولم تكن راشيا قد زوجت بعد لأحد فإنها تكون زوجة له (!) و يعيشا في بيتك ويكون اسما: اسمهما و أولادهما يكونون أولادك ، هذه هي مشيئة الله. وقد كتبت هذا بنفسي و وقعت عليه باسمي .

العبد لله الحاج محمد بو رشيد ، من عائلة أيوبي

و أعاد الشيخ العجوز الرق للضيف بيدين ترتعدان و كان صوته هادئاً ثم قال للعبد الأسود : ارسل فتى للحقل ليخبر ابنتي راشيا أنني أدعوها للحضور إلي البيت، فقد أرسل الله إلينا بضيف عزيز .

[ح]

كانت راشيا قد سمعت عن وصول الضيف من أحد الفتية ؛ كان قد ذهب لإحضار الطعام للرجال الذين في الحقل وسمع عن الضيف من العبد فنقل الخبر لراشيا . في تلك الأثناء كانت يداها تهتزان وكان الزراع ينظرون إليها لأنهم لم يروا صاحبة البيت في هذه الحالة من قبل . لم يفهم أحد من الزراع ما يدور بداخلها سوى المسنون الذين لا يزالون يتذكرون ما حدث منذ عشر سنوات . ولذلك لم تجلس راشيا معهم وقت الطعام كما كانت تفعل من قبل . توجهت إلي القرية ولما وصلت عند نبع الماء غسلت وجهها ثم غيرت مسارها إلي المقابر ؛ حيث قبر الأم والابن وهناك خرّت راشيا علي الأرض وبكت بدموع ساخنة ثم صلت لله وعادت ثانيةً إلي نبع الماء ، غسلت وجهها وعصبت منديلها علي رأسها واتجهت نحو القرية وقابلت في الطريق الفتى المرسل لها من الشيخ .

ولما وصلت قالت للشيخ : هاأنا ذا يا أبي ، لقد أرسلت في طلبي .

وقفت راشيا أمام الشيخ والضيف ، كان الضيف يتفحصها بعينين ثاقبتين . نظر الشيخ في وجه ابنته ولم يصدق ما رأت عيناه . كانت لا تزال صغيرة وجميلة وكأنها في يوم عرسها وكأن السنوات العشر لم تمر ولم تتعرض الفتاة خلالها للشمس والرياح في الحقل . وفهم الشيخ بخبرته ما يدور بخاطر الواقفة أمامه فانهمرت الدموع من عينيه علي وجهه الهرم وقال لها :

– راشيا ، يابنتي ، هل تعرفين هذا الرجل ؟

استدارت راشيا و حملقت في الضيف الذي كان يرتعد في وقفته وقالت :

- نعم يا أبي . فقال لها :

- هذا عمك ، شقيق والدك ، خذ يدها ياخليل واعطني يدك و ها هي ذي يدي أيضاً و قال : من اليوم فصاعداً نحن الثلاثة رجل واحد ، الأمر لله يا أولادي وهذه مشيئته ، باركلما الله !

وخرج خليل بعد ساعة من حوش الشيخ ممتطياً جواده ، واتجه إلي قرية دهرية مفعماً بالسعادة والكبرياء والنصر . ودعت راشيا الفتيات وجلسن لحياكة ملابس العرس .

[ط]

جاء موعد العرس بعد ثلاثين يوماً ، كل شئ جاهز وسيكون الاحتفال في الغد كبيراً . وفي صباح اليوم السابق للعرس ، قام الشيخ من نومه مضطرباً ، قلبه يتوجس شراً ، ولم يعرف ما هو ؟ فحتى ذلك الصباح كان سعيداً وقد قرر أن يرتب عرساً لم ير مثله أحد من قبل . فماذا حدث له فجأة ؟

لمحت راشيا وجه الشيخ وأدركت أنه لا يبشر بالخير . فكانت هي الأخرى قلقة وغير مطمئنة ، قلبها مثقل منذ أن عاد خليل ، وتشعر بأن شيئاً ما سيحدث ولا تعلمه.

وبعد صلاة العشاء ، رأت راشيا الشيخ جالساً تحت شجرة التين ، فأحضرت له النرجيلة وفنجان القهوة وجلست إلي جواره ... فقد تعودت أن تجلس هكذا كلما حدثت كارثة في القرية . لمح الشيخ وجهها العابس فقال : ماذا بك يا ابنتي لماذا تتكدرين هكذا ؟ ففي الغد فرحك. سقطت راشيا علي قدمي الشيخ وقبلت يده وبكت . اندهش الشيخ وقال : يا ابنتي، ماذا بك ؟ هل آذاك أحد ؟ فقالت راشيا : يا أبي وسيدي ! أرى قلبك مثقلاً منذ الصباح ، أستسمحك أن تسر لي بما في خاطرك، فإذا كان الأمر لا يروقك فدعك منه ولا تفعله ويعود خليل من حيث أتي بلا رجعة، وأظل في بيتك عوضاً عن دم ابنك .

فقال لها الشيخ : لا تتحدثي هكذا يا ابنتي ! ففرحتك هي فرحتي ، إنها إرادة الله. فنزلت راشيا ثانيةً علي قدمي الشيخ وقبلت يده وسالت دموع الفرح من عينيها في هذه المرة .

[ي]

قام الشيخ فجأة من نومه ليلاً ، شعر بأن شيئاً ما يزعجه ولا يعلم ما هو؟ رتب فراشه ثانيةً وحاول النوم ، لكنه استيقظ بعد لحظات ، فما الذي يقلقه ؟ هل مرض ؟ إنه لم يمرض من قبل . هل أصيب في رأسه ، في بطنه ؟ كلا ، لا يشعر بأي ألم ، فماذا به ؟ و كلما حاول النوم استيقظ .

حينئذ جلس علي مضجعه في خوف ... وخُيِّل إليه صوت أحد ؟! مد يده يبحث في الظلام ... واذا بصوت يأتيه بوضوح مرة أخرى قائلاً :

" ستعطي عروس ابنك في الغد لرجل سفك دمه !! "

ذهل الرجل ووقف ممسكاً بعصاته ، أشعل الضوء ، وخرج يبحث عن صاحب الصوت . فتش في الحوش وصعد فوق السطوح ... كانت راشيا ترقد هناك وعلي وجهها إبتسامة فرح خفيفة ، ثم عاد الشيخ إلي منامة ، يبدو أن ذلك كان حلماً سيئاً . ورقد لينام مرة أخري ، ففي الغد عمل كثير وسيكون يوماً مشهوداً .

وما أن بدأ الشيخ يستغرق في النوم حتي قفز من مضجعه فزعاً ، فقد جاءه نفس الصوت ... يهمس في أذنيه ... وتساءل من ذا الذي يقلق راحته ؟ أفعل شيئاً يخالف مشيئة الله ؟!

تذكر الشيخ فجأة شيئاً مفزعاً : نسي واجبه نحو الموتى ، فكيف ينسى الشيخ هذا ؟ إنها عادة عند عائلة أيوبي أن يزوروا مقابر أبناء العائلة قبل كل عرس ، لطلب الاذن والسماح من الموتى (!) ، فكيف نسى هذه العادة المقدسة ؟ قام الشيخ من فراشه هذه المرة وارتدى ملابسه وخرج من البيت . كان الليل حالكاً ، لكنه يعرف

طريقه في الظلام ، فبعد أن يؤدي هذا الواجب لن يزعج فرحته شئ . ولما اقترب الشيخ من المقابر سمع أصوات حركة تصدر من بعيد ، وقف في مكانه وتجمدت قدماه ولم يستطع الحراك . وقرر أن يعود مسرعاً لبيته، لكنه بعد لحظة رفع قدميه وواصل السير . وما قد خطر بباله تراه عيناه الآن : الأم والابن يجلسان فوق مقبرتيهما رؤوسهما تتدلي لأسفل ، ولما وصل إليهما رفعا رأسيهما ونظرا إليه . كان وجه المرأة غاضباً ، ورأى في عيني الابن حسرةً كالتي رآها في عينيه عندما كان يجلس جريحاً فوق فرسه ، وهو ينتظر موته في يوم عرسه . أراد الشيخ أن يجلس معهما ، لكنه لم يستطع الحركة ، أراد أن يقول لهما شيئاً ، لكنه لم يستطع الكلام . وجاءه صوت المرأة قائلة :

– ستتزوج راشيا غداً و سيصبح دم ابنك كالماء في الحقل . أما الابن فلم ينطق بكلمة . أراد الشيخ أن يقول لها إنها وصية الشيخ أبي رشيد وإنها إرادة الله ، لكنه قبل أن يفتح فمه ليحدثها سمع نفس الصوت يقول له ثانيةً :

– هل الشيخ أبو رشيد الأحمق أهم في نظرك من ابنك ؟ هل الرق الذي تركه أكثر احتراماً من عادات المسلمين ؟

غضب الشيخ عندما سمع هذا الكلام وأراد أن يرد علي المرأة لولا صياح الديك (!) في تلك الأثناء ، فاختفت الأم ومعها الابن و لم يبق لها أي أثر .

وعاد الشيخ لبيته ونام في فراشه وراح في سبات عميق . وفي الصباح قام ودعا ابنته وذهبا سوياً إلي المقابر لطلب الاذن السماح من الموتى ، ولما عادا إلي البيت وجدا أن الحوش قد امتلأ بالضيوف .

[ع]

اليوم يكتمل العرس الذي توقف في منتصفه منذ عشر سنوات . تجمع الضيوف في الوادي الذي يقع بين قريتي عيون و دهرية . جاء شباب القرى على جيادهم ، تجدد المهرجان الذي لم ير الشيوخ مثيلاً له من قبل ، آلاف الرصاصات تنطلق في الهواء ، الفتيات يلبسن أبهى الثياب

والعروس فوق ظهر الجمل . لكن الترتيب هذه المرة يختلف عن ذي قبل ؛ سيأخذون نفس العروس من بيت أيوبي إلي بيت صلحي . و اتفقوا علي أن يعود العروسان من هناك إلي بيت الشيخ إبراهيم ليعيشا معه ويطلقون علي أبنائهما اسمه تنفيذاً لما ورد في رق الشيخ الجليل أبي رشيد .

لم ير أحدٌ عريساً في وسامة خليل ؛ قوياً واثقاً يجلس علي فرسه وبندقيته في يده ، و نظر الجميع ناحية الشيخ إبراهيم و رأوه أكثر سعادة وبهجة وكأن السنوات العشر لم تمر منذ عرس ابنه ، وكأن شعره لم يصبه المشيب في ذلك اليوم المشئوم . كانت فرس الشيخ من أجمل الأفراس ، وكانت فرس العريس أكثر جمالاً ؛ فقد أحضرها معه من عبر الأردن .

فتح الشيخ إبراهيم في ذلك اليوم كل مخازنه علي شرف العرس ، فكان الطعام وفيراً وجيداً وملابس العروس من الحرير الفاخر واللحوم من أفضل الخراف ، وكأن العرس لأميرة وليس لقروية . وفي المساء خرج الشباب في سباق بالجياد . وقف أبناء عائلة أيوبي في جانب ووقف أبناء عائلة صلحي في جانب آخر و بدأ السباق . كان أبناء أيوبي في البداية متقدمين ، ثم تحوّل العريس وتزعم شباب عائلته ففازت

عائلة صلحي بالسباق . شعر أبناء أيوبي بالحزن ، فمن يتزعمهم ؟ فليس لديهم البطل صغير السن الذي يقودهم ! وهنا قفز الشيخ العجوز علي فرسه و صاح بصوت عالٍ :

ليعش شباب عائلة أيوبي !

و تزعم رجاله و بدأ سباق جديد بين الفريقين . لم يحافظ الشباب في هذه المرة علي أنفسهم ولا علي أفراسهم ؛ فكانت الأفراس تتساقط هنا وهناك وبعضها تموت وبدأ بعض الشباب من المعسكرين في مغادرة المكان متعبين ومنهكين . ولم يبق في النهاية سوى متسابقان فقط ؛ هما الشيخ العجوز والعريس خليل .

قال الشيخ لخليل :" أيها الصغير ! هيا جرب قوتك هذه المرة !"

فرد خليل بغضب : "ها أنا ذا قادم إليك أيها العجوز !"

نظرت العروس التي كانت تجلس علي الجمل نحو المتسابقين بعينين خائفتين ، قلقة وصرخت راشيا فجأة قائلة : قفـــا !

كان الوقت قد تأخر ، فالفارسان أصبحا علي الطريق ، وكان عليهما أن يصلا إلي صخرة كبيرة تنتصب وسط الحقل ، وكان الشيخ العجوز في المقدمة و بعد قليل سيصبح هو الفائز ... فجأة نظر الشيخ لأعلي فرأى يداً حمراء في السماء تقطر دماً . و في تلك الأثناء وصل خليل للصخرة ، و تعالت أصوات الفرح تقول :

" العزة والفوز لعائلة صلحي ! "

توجه الشيخ علي الفور نحو العريس الصغير و قال له بصوت مفزع :

" يا قاتل ابني ! هذا يوم موتك .الدم بالدم !!"

وغرس الشيخ سيفه الطويل في قلب خليل وارتفعت الصيحات في ذلك الحين تقول

- الثأر! الثأر! الثأر !

وانقض شباب عائلة صلحي علي العجوز وبدأت المعركة وامتلأت الأرض بالأيدي التي تقطر دماء ؛ دماء الاخوة .

١٢- أبو غدير ، محمد محمود (دكتور) : القصة العبرية ، ١٩٨٧

١٣- زين العابدين ، محمود حسن (دكتور) : الكيبوتس بين المثالية والواقع
مطبعة النيل ، ١٩٩٤م

١٤- هلال ، محمد غنيمي (دكتور) : النقد الأدبي الحديث
بيروت ، ١٩٧٣ .

١٥- أتينجر ، صموئيل (تحرير) : اليهود في البلدان الإسلامية (١٨٥٠-١٩٥٠)
ترجمة د. جمال الرفاعي - مراجعة أ. د. رشاد الشامي
عالم المعرفة - العدد (١٩٧) - الكويت

النص العبري للأقاصيص

[صفحة ٩]

אבו אל כלב

אַבּוּ־אַל־כַּלְבּ. כָּךְ קָרְאוּ לוֹ, עַל שֵׁם הַכֶּלֶב שֶׁלּוֹ, שֶׁאוֹתוֹ אָהַב יוֹתֵר מִכָּל דָּבָר אַחֵר. שְׁמוֹ הָיָה עַבְּד־אַלְלָה. כָּךְ קָרָא לוֹ אָבִיו.

אָבִיו הָיָה עֶבֶד. אֶפֶנְדִּי אֶחָד מִיָּפוֹ קָנָה אוֹתוֹ בַּשּׁוּק בְּמִצְרַיִם. שָׁנִים רַבּוֹת אַחֲרֵי־כֵן יָצָא הָאָב לַחֹפֶשׁ, הָלַךְ לָשֶׁבֶת בְּאַחַד הַכְּפָרִים וְהָיָה לְרוֹעֵה צֹאן. כַּאֲשֶׁר הָיָה עַבְּד־אַלְלָה תִּינוֹק, מֵתָה אִמּוֹ. כַּאֲשֶׁר יָדַע לָצֵאת לַשָּׂדֶה עִם הַצֹּאן, מֵת אָבִיו. הוּא הָיָה אָז בֶּן־חָמֵשׁ שָׁנִים.

עַבְּד־אַלְלַה הָיָה כּוּשִׁי שָׁחוֹר, כְּמוֹ אָבִיו. זֶה הָיָה הָאָסוֹן שֶׁלּוֹ, אֲבָל מִפְּנֵי כָּךְ מָצָא אֶת מְקוֹמוֹ בַּחַיִּים. הַכְּפָר, שָׁם הָיָה עַבְּד־אַלְלַה רוֹעֶה צֹאן, הָיָה כְּפָר קָטָן מְאֹד. בָּתִּים אֲחָדִים, עַל הַסְּלָעִים שֶׁעַל חוֹף הַיָּם, בַּדֶּרֶךְ מִיָּפוֹ לְקֵיסַרְיָה, זֶה הַכֹּל. וּבַכְּפָר הַזֶּה הָיָה עַבְּד־אַלְלַה הַכּוּשִׁי הָאֶחָד הַגְּבָרִים הָיוּ צוֹחֲקִים עָלָיו, קָרְאוּ לוֹ "הַשֵּׁד הַשָּׁחוֹר". הַנָּשִׁים הָיוּ מַבִּיטוֹת לַצַּד הַשֵּׁנִי כַּאֲשֶׁר עָבַר בָּרְחוֹב. וְהַיְלָדִים הָיוּ זוֹרְקִים בּוֹ אֲבָנִים. לֹא מִתּוֹךְ שִׂנְאָה,

[صفحة ١٠]

כִּי אִם מִתּוֹךְ רִשְׁעוּת שֶׁל יְלָדִים. וְכָךְ עָשׂוּ גַּם
לַכֶּלֶב שֶׁל עַבְד־אַלְלַה, שֶׁהָיָה דַּוְקָא לָבָן.
כֵּן, הַכֶּלֶב שֶׁל הָרוֹעֶה הַקָּטָן, הַשָּׁחוֹר, הָיָה לָבָן,
וּמִפְּנֵי כָּךְ אָהַב אוֹתוֹ כָּל־כָּךְ. יוֹם אֶחָד, כַּאֲשֶׁר
רָעָה אֶת הַצֹּאן עַל שְׂפַת הַיָּם, מָצָא כֶּלֶב קָטָן,
רָעֵב וְרוֹעֵד מִקּוֹר. עַבְד־אַלְלַה שָׂמַח עַל הַכֶּלֶב
כְּאִלּוּ מָצָא אוֹצָר. הַרְבֵּה מְאֹד צַעַר וּכְאֵב גָּרַם

[صفحة ١١]

לוֹ הַצֶּבַע הַשָּׁחוֹר שֶׁלּוֹ. הוּא הִרְגִּישׁ שֶׁחָסֵר לוֹ
מַשֶּׁהוּ, אֲבָל לֹא יָדַע מַה. כַּאֲשֶׁר הָיוּ צוֹחֲקִים
עָלָיו, אוֹ מַכִּים אוֹתוֹ, אוֹ כַּאֲשֶׁר הָיָה רָעֵב – לֹא
בָּכָה וְלֹא צָעַק. הָיָה הוֹלֵךְ לְאַחַת הַפִּנּוֹת יוֹשֵׁב
שָׁם, וּמַרְגִּישׁ אֵיךְ בִּפְנִים הַכֹּל כּוֹאֵב, כּוֹאֵב...
לֹא הַמַּכּוֹת, לֹא הַצְּחוֹק, לֹא הָרָעָב. מַשֶּׁהוּ אַחֵר.
הַבְּדִידוּת... אֲבָל הוּא לֹא יָדַע מַה הַדָּבָר, וְאֵיךְ
קוֹרְאִים לוֹ בְּשֵׁם.

[صفحة ١٢]

כַּאֲשֶׁר מָצָא אֶת הַכֶּלֶב, יָדַע שֶׁמָּצָא מַה שֶּׁחָסֵר לוֹ.
לְמִן אוֹתוֹ יוֹם לֹא הָיָה בּוֹדֵד. הוּא אָהַב אֶת הַכֶּלֶב
הַלָּבָן, יְדִידוֹ הַיָּחִיד, וְשָׁמַר עָלָיו מְאֹד.
כַּאֲשֶׁר קִבֵּל לִסְעוּדָה מְעַט לֶחֶם עִם אֹרֶז, אָכַל
הוּא אֶת הַלֶּחֶם וְאֶת הָאֹרֶז נָתַן לְכַלְבּוֹ. וְאִם קִבֵּל
רַק לֶחֶם יָבֵשׁ, הָיָה מְחַלֵּק אוֹתוֹ לִשְׁנַיִם, חֲצִי לוֹ
וַחֲצִי לְכַלְבּוֹ. הַכֶּלֶב הָיָה קָטָן מְאֹד, לָבָן וְלֹא
יָפֶה. יַלְדֵי הַכְּפָר הָיוּ זוֹרְקִים גַּם בּוֹ אֲבָנִים, כְּמוֹ
בָּאָדוֹן שֶׁלּוֹ. וְעַבְד־אַלְלָה, שֶׁלֹּא הָיָה אוֹמֵר דָּבָר
כַּאֲשֶׁר צָחֲקוּ עָלָיו אוֹ הִכּוּ אוֹתוֹ – הָיָה מֵגֵן עַל
כַּלְבּוֹ בְּאֹמֶץ־לֵב. הָיָה מְכַסֶּה אוֹתוֹ בְּגוּפוֹ, כְּדֵי
שֶׁיְּקַבֵּל הוּא אֶת הַמַּכּוֹת, וְלֹא הַכֶּלֶב. וּבְאוֹתָהּ
שָׁעָה הָיָה צוֹעֵק אֶל הַיְלָדִים: "אֲבָל לָבָן הוּא!"
יוֹם אֶחָד חָלָה הַכֶּלֶב, וְלֹא רָצָה לֶאֱכוֹל מִן הַלֶּחֶם
שֶׁנָּתַן לוֹ אֲדוֹנוֹ. עַבְד־אַלְלָה גָּנַב מְעַט מֵחֲלֵב הַצֹּאן
שֶׁרָעָה וְנָתַן לְכַלְבּוֹ. אַף פַּעַם לֹא עָשָׂה כַּדָּבָר
הַזֶּה בִּשְׁבִיל עַצְמוֹ.

בַּעֲלֵי הַצֹּאן שָׁמְעוּ עַל כָּךְ. לָקְחוּ אֶת הַכֶּלֶב וְהִכּוּ
אוֹתוֹ עַד מָוֶת.
בְּאוֹתוֹ לַיְלָה קָם עַבְד־אַלְלָה וְעָזַב אֶת הַכְּפָר
שֶׁבּוֹ נוֹלַד. הוּא הָיָה אָז בֶּן־חָמֵשׁ־עֶשְׂרֵה. הָלַךְ

[صفحة ١٣]

עַד אֲשֶׁר הִגִּיעַ לְאָהֳלִים שֶׁל בֶּדוּאִים, וְשָׁם נִשְׁאַר
כָּל יְמֵי חַיָּיו.
כֶּלֶב לֹא הָיָה לוֹ. אֲבָל הַשֵּׁם אֲבוּ־אַל־כַּלְבּ נִשְׁאַר
לוֹ לְכָל חַיָּיו.
בֵּין הַבֶּדוּאִים לֹא הִפְרִיעַ לוֹ הַצֶּבַע הַשָּׁחוֹר. הֵם
לֹא צָחֲקוּ לוֹ וְלֹא הִכּוּ אוֹתוֹ, מִפְּנֵי שֶׁגַּם בֵּינֵיהֶם
הָיוּ שְׁחוֹרִים. אֲבָל בִּפְנִים, בְּתוֹךְ לִבּוֹ, הִרְגִּישׁ אוֹתוֹ
כְּאֵב. הוּא רָצָה לִהְיוֹת כְּמוֹ כֻּלָּם. כַּאֲשֶׁר הָיָה יֶלֶד
קָטָן, הָיָה רוֹחֵץ אֶת פָּנָיו בְּמֵי הַיָּם הַמְּלוּחִים,
וּמְשַׁפְשֵׁף אוֹתָם בַּחוֹל עַד כְּאֵב. אַחַר־כָּךְ הָיָה
חוֹזֵר אֶל הַכְּפָר בְּלֵב דוֹפֵק. אֲבָל כַּאֲשֶׁר שָׁמַע
אֶת הַקְּטַנִּים קוֹרְאִים: "שָׁחוֹר, שָׁחוֹר!" יָדַע
שֶׁהַתִּקְוָה לֹא בָּאָה.
כַּאֲשֶׁר גָּדַל הֵבִין, שֶׁאִי־אֶפְשָׁר לוֹ לִהְיוֹת לָבָן.
אָז הִתְחִיל לַחֲלוֹם שֶׁיִּקְנֶה אִשָּׁה לְבָנָה, וְיִהְיוּ לוֹ
בָּנִים לְבָנִים. הַתִּקְוָה הַזֹּאת לֹא עֲזָבָה אוֹתוֹ עַד
יוֹמוֹ הָאַחֲרוֹן, גַּם כַּאֲשֶׁר כְּבָר הָיָה כּוּשִׁי זָקֵן. כִּי
לִקְנוֹת אִשָּׁה, וַאֲפִילוּ שְׁחוֹרָה, לֹא יָכוֹל. אַף פַּעַם
לֹא הָיְתָה בְּיָדָיו גַּם פְּרוּטָה אַחַת. שְׂכַר עֲבוֹדָתוֹ
הָיָה לֶחֶם לֶאֱכוֹל, וּבֶגֶד יָשָׁן לִלְבּוֹשׁ. רַק כַּאֲשֶׁר
הִתְחִילוּ הַיְּהוּדִים לָבוֹא לַמָּקוֹם, רָאָה גַּם כֶּסֶף,
אֲבָל הַכֶּסֶף הָיָה מְעַט, וְהוּא כְּבָר הָיָה זָקֵן.

[صفحة ١٤]

יוֹם אֶחָד הָלַכְתִּי אֶל הַבֶּדוּאִים לְחַפֵּשׂ שׁוֹמֵר בִּשְׁבִיל הָעֵצִים שֶׁלִּי. הָרוֹעֶה הַזָּקֵן, הַשָּׁחוֹר, הִסְכִּים לָבוֹא אִתִּי. בַּלַּיְלָה יָשַׁבְנוּ יַחַד עַל חוֹף הַיָּם וְהוּא סִפֵּר לִי אֶת סִפּוּר חַיָּיו.
אַחֲרֵי שֶׁגָּמַר לְסַפֵּר שָׁתַק רְגָעִים אֲחָדִים, וְאַחַר־כָּךְ חָזַר וְאָמַר, כְּאִלּוּ הָיָה זֶה הָעִקָּר:
"וְהַכֶּלֶב, לָבָן הָיָה..."

[صفحة ١٥]

חֲתֵן

הוּא הָיָה מְכֹעָר מְאֹד, גָּדוֹל וְשָׁמֵן כְּמוֹ גָּמָל. וּבֶאֱמֶת קָרְאוּ לוֹ מִפְּנֵי כָּךְ חֲתֵן־גָּמָל. אִם פָּגַשׁ בַּאֲנָשִׁים שֶׁלֹּא הִכִּירוּ אוֹתוֹ, הָיוּ נִבְהָלִים מִפָּנָיו. אֲבָל מִי שֶׁהִכִּיר אוֹתוֹ יָדַע שֶׁבְּתוֹךְ הַגּוּף הַגַּס וְהַמְּכֹעָר יֶשְׁנוֹ לֵב שֶׁל יֶלֶד קָטָן. מִפְּנֵי זֶה הָיוּ כֻּלָּם מְנַצְּלִים אוֹתוֹ, וְאַחַר־כָּךְ צוֹחֲקִים עָלָיו. אִלּוּ רָצָה, יָכוֹל הָיָה לַהֲרוֹג אָדָם בְּמַכָּה אַחַת, אֲבָל חֲתֵן לֹא הֵרִים יָד עַל שׁוּם אָדָם.

וְהָאִישׁ הַזֶּה, הַגָּדוֹל וְהַגַּס, אָהַב דַּוְקָא נָשִׁים קְטַנּוֹת. מִפְּנֵי שֶׁהֵן חַלָּשׁוֹת, מִפְּנֵי שֶׁהֵן רַכּוֹת כָּל־כָּךְ. כַּאֲשֶׁר גָּדַל וְהָיָה לְאִישׁ וְהִתְחִיל לַחֲשׁוֹב עַל אִשָּׁה, הָיָה הוֹלֵךְ בַּכְּפָרִים לִרְאוֹת אֶת הַבָּנוֹת. אַחַר־כָּךְ הָלַךְ לֶעָרִים: לְרַמְלֶה, לְיָפוֹ. וְשָׁם מָצָא מַה שֶּׁחִפֵּשׂ. בְּנוֹת הֶעָרִים הָיוּ קְטַנּוֹת יוֹתֵר, לְבָנוֹת יוֹתֵר, רַכּוֹת יוֹתֵר. חֲתֵן־גָּמָל הֶחְלִיט לָקַחַת אִשָּׁה מִן הָעִיר.

אֲבָל בִּשְׁבִיל עִירוֹנִית לֹא הִסְפִּיק הַכֶּסֶף שֶׁבְּיָדוֹ. עָבַד עוֹד שָׁנִים אֲחָדוֹת, וְכַאֲשֶׁר הָיָה בֶּן שְׁלוֹשִׁים

[صفحة ١٦]

וְחָמֵשׁ הָלַךְ לְרַמְלֶה וְקָנָה לוֹ אִשָּׁה קְטַנָּה וּלְבָנָה בִּמְחִיר אֶלֶף פְּרַנְק. כַּאֲשֶׁר הֵבִיא אֶת אִשְׁתּוֹ לְבֵיתוֹ, הָיָה מְאֻשָּׁר מְאֹד.
וְהָאִשָּׁה הַקְּטַנָּה שָׂנְאָה אֶת הַבַּעַל הַגָּדוֹל וְהַמְּכֹעָר. הוּא הָיָה בְּעֵינֶיהָ אִישׁ כְּפָר גַּס. אֶת הַלֵּב הַטּוֹב שֶׁלּוֹ לֹא רָאֲתָה וְלֹא הֵבִינָה. תָּמִיד הָיְתָה כּוֹעֶסֶת, תָּמִיד הָיְתָה צוֹעֶקֶת, וּבְבֵיתוֹ שֶׁל חָתֵן לֹא הָיָה אַף רֶגַע אֶחָד שֶׁל שֶׁקֶט וְשָׁלוֹם.
אֲבָל חָתֵן אָהַב אֶת אִשְׁתּוֹ. לֹא שָׁלַח אוֹתָהּ לַעֲבוֹד, נָתַן לָהּ כָּל מַה שֶּׁבִּקְּשָׁה, וְכַאֲשֶׁר הָיְתָה צוֹעֶקֶת, הָיָה הוּא שׁוֹתֵק וְסוֹבֵל הַכֹּל בְּשֶׁקֶט. גַּם לַדְּבָרִים הָרָעִים שֶׁסִּפְּרוּ לוֹ עַל אִשְׁתּוֹ הַשְּׁכֵנִים וְהַשְּׁכֵנוֹת, לֹא שָׂם לֵב. כַּאֲשֶׁר הָיְתָה צוֹעֶקֶת אֵלָיו: "אֲנִי שׂוֹנֵאת אוֹתְךָ!" וְדוֹרֶשֶׁת מִמֶּנּוּ גֵּט, הָיָה לִבּוֹ כּוֹאֵב מְאֹד, אֲבָל גַּם אָז לֹא פָּתַח אֶת פִּיו וְלֹא אָמַר דָּבָר. רַק פַּעַם אַחַת כָּעַס חָתֵן עַל אִשְׁתּוֹ.
אִשְׁתּוֹ יָלְדָה לוֹ בַּת. הוּא קָרָא לָהּ חֲלִימָה וְאָהַב אוֹתָהּ עוֹד יוֹתֵר מֵאֲשֶׁר אָהַב אֶת אִשְׁתּוֹ. וְהָאִשָּׁה שָׂנְאָה אוֹתוֹ, אוֹתוֹ וְאֶת בִּתּוֹ. כָּעֵת הָיְתָה אוֹמֶרֶת לוֹ: "שׂוֹנֵאת אֲנִי אוֹתְךָ וְגַם אֶת הַבַּת הַמְּכֹעֶרֶת שֶׁלְּךָ". חָתֵן הָיָה רוֹעֵד כַּאֲשֶׁר שָׁמַע אֶת הַדְּבָרִים הָאֵלֶּה, אֲבָל לֹא אָמַר דָּבָר.
יוֹם אֶחָד רָאָה אֶת אִשְׁתּוֹ מַכָּה אֶת הַתִּינֹקֶת. בָּא מַהֵר וְהֶחֱזִיק בְּיָד שֶׁל הָאִשָּׁה. לֹא רָצָה לַעֲשׂוֹת

[صفحة ١٧]

לָהּ דָּבָר, רַק הֶחֱזִיק בָּהּ כְּדֵי שֶׁלֹּא תַּכֶּה אֶת
הַתִּינֹקֶת. הֶחֱזִיק בַּיָּד, עַד שֶׁנִּשְׁבְּרָה.

בָּאוּ הַהוֹרִים שֶׁל אִשְׁתּוֹ וְהוּא הָיָה מֻכְרָח לָתֵת
לָהּ גֵּט. אֶת אֶלֶף הַפְּרַנְקִים שֶׁשִּׁלֵּם בַּעֲדָהּ הִפְסִיד
וְרַק הַבַּת, חֲלִימָה, נִשְׁאֲרָה לוֹ.
חָתָן אָהַב אֶת בִּתּוֹ מְאֹד. הוּא טִפֵּל בָּהּ כְּמוֹ אֵם
טוֹבָה. כַּאֲשֶׁר הָלַךְ לַעֲבוֹדָתוֹ, הָיָה מֵבִיא אֶת
הַיַּלְדָּה אִתּוֹ. הַחֲלוֹם הַגָּדוֹל שֶׁלּוֹ הָיָה שֶׁיִּקְרְאוּ
אוֹתוֹ "אַבּוּ־חֲלִימָה". אֲבָל אַנְשֵׁי הַכְּפָר הָרְשָׁעִים
לֹא רָצוּ לְשַׂמֵּחַ אוֹתוֹ וְהוֹסִיפוּ לִקְרֹא לוֹ "חָתָן־
גָּמָל".
רַק אֲנִי הָיִיתִי קוֹרֵא לוֹ תָּמִיד "אַבּוּ־חֲלִימָה",
מִפְּנֵי־כָּךְ אָהַב אוֹתִי. הוּא שָׁמַר אֶת הַכֶּרֶם שֶׁלִּי.
הָיָה מֵבִיא אִתּוֹ אֶת חֲלִימָה, וְכַאֲשֶׁר הָיָה מְטַפֵּל
בַּקְּטַנָּה הָיוּ דְּמָעוֹת שֶׁל אֹשֶׁר יוֹרְדוֹת עַל פָּנָיו
הַמְכֹעָרוֹת.

[صفحة ١٨]

מיתת נשיקה (אגדה)

לִפְנֵי יָמִים רַבִּים הָיָה בְּחוֹרָן שֵׁיךְ אֶחָד וּשְׁמוֹ חָלִיל.
לֹא הָיָה בְּכָל הַחוֹרָן עוֹד שֵׁיךְ עָשִׁיר כָּמוֹהוּ. בְּתוֹךְ
הָאֲדָמָה, בָּאֹהֶל שֶׁלּוֹ, הָיוּ כַּדִּים מְלֵאִים כֶּסֶף
וְזָהָב; הַמַּחְסָנִים שֶׁלּוֹ הָיוּ מְלֵאִים חִטָּה וּשְׂעוֹרָה;
אֲדָמָה הָיְתָה לוֹ-בְּלִי גְבוּל, וְלַצֹּאן שֶׁלּוֹ לֹא הָיָה
מִסְפָּר. וְהַסּוּסוֹת שֶׁלּוֹ הָיוּ הַטּוֹבוֹת בְּכָל סוּסוֹת
עֲרָב. בְּנֵי הַשֵּׁבֶט שֶׁל חָלִיל הָיוּ אֲנָשִׁים אַמִּיצֵי־לֵב,
וְכָל הַשְּׁבָטִים מִסָּבִיב פָּחֲדוּ מִפְּנֵיהֶם. אַף אֶחָד לֹא
רָב אִתָּם, וְאַף אֶחָד לֹא גָּנַב מֵהֶם. כָּל שִׁבְטֵי עֲרָב
קִנְּאוּ בְּחָלִיל וּבִבְנֵי שִׁבְטוֹ קִנְאָה גְּדוֹלָה.
הַשֵּׁיךְ חָלִיל הָיָה עָשִׁיר וְחָזָק – אֲבָל מִסְכֵּן מְאֹד.
כַּאֲשֶׁר הָיוּ הַזְּקֵנִים מְדַבְּרִים עַל הַשֵּׁיךְ הָיוּ מַבִּיטִים
לַשָּׁמַיִם וְאוֹמְרִים בְּפַחַד:
"סַסְפַּר אַלְלָה אִל עַזִּיב!"
כַּאֲשֶׁר הָיוּ הַצְּעִירִים מְדַבְּרִים עַל הַשֵּׁיךְ הָיָה צְחוֹק

[صفحة ١٩]

קַל עוֹלֶה עַל פְּנֵיהֶם. אֲבָל הַצְּחוֹק נֶעֱלַם מִיָּד,
וְהַלֵּב שֶׁלָּהֶם דָּפַק... דָּפַק...
וְזֶה הָיָה הָאָסוֹן שֶׁבָּא עַל הַשֵּׁיךְ חָלִיל:
בָּנָיו נוֹלְדוּ בְּרִיאִים וַחֲזָקִים. אֲבָל כַּאֲשֶׁר הִגִּיעוּ
לְגִיל שְׁלוֹשׁ־עֶשְׂרֵה וְהִתְחִילוּ מַבִּיטִים בְּאִשָּׁה, הָיוּ
מֵתִים מִתּוֹךְ הַנְּשִׁיקָה הָרִאשׁוֹנָה.

כָּכָה מֵת הַבֵּן הַבְּכוֹר, הָאַמִּיץ בִּבְנֵי חוֹרָן. כָּכָה
מֵת הַבֵּן הַשֵּׁנִי, הֶחָכָם בִּבְנֵי חוֹרָן. וְכָכָה מֵת גַּם
הַבֵּן הַשְּׁלִישִׁי – הַתִּקְוָה הָאַחֲרוֹנָה שֶׁל הַשֵּׁבֶט.
וְאָז נוֹלַד הַבֵּן הָרְבִיעִי, בֶּן־הַזְּקוּנִים.
כַּאֲשֶׁר נוֹלַד הַבֵּן הָרְבִיעִי בָּאוּ אֶל הַשֵּׁיךְ כָּל זִקְנֵי
הַשֵּׁבֶט וְאָמְרוּ לוֹ: "מֻכְרָחִים אֲנַחְנוּ לִמְצֹא עֵצָה.
כִּי אִם יֹאבַד גַּם אַחֲרוֹן הַבָּנִים, מִי יִהְיֶה לָנוּ לְרֹאשׁ?"
יָשְׁבוּ הַזְּקֵנִים שְׁלוֹשָׁה יָמִים וּשְׁלוֹשָׁה לֵילוֹת וְחִפְּשׂוּ
עֵצָה. לְבַסּוֹף הֶחְלִיטוּ לִשְׁלוֹחַ לְהָבִיא אֶת הַדֶּרְוִישׁ
הַקָּדוֹשׁ.

ב

הָלְכוּ הַשְּׁלִיחִים וְאַחֲרֵי שִׁבְעָה יָמִים חָזְרוּ מִן הַדֶּרֶךְ
הָאֲרֻכָּה וְהַדֶּרְוִישׁ אִתָּם. סִפְּרוּ חָלִיל וְהַזְּקֵנִים אֶת
אֲסוֹנָם וְאֶת כָּל כְּאֵב לִבָּם לַדֶּרְוִישׁ הַזָּקֵן.
אָמַר הַדֶּרְוִישׁ: "רַחֲצוּ אֶת הָרַגְלַיִם וְנִתְפַּלֵּל כֻּלָּנוּ

[صفحة ٢٠]

לֵאלֹהִים". עָשׂוּ כֻּלָּם אֶת דְּבַר הַדֶּרְוִישׁ וְהִתְפַּלְּלוּ
לֵאלֹהִים. אַחֲרֵי הַתְּפִלָּה הוֹצִיא הַקָּדוֹשׁ אֶת כֻּלָּם
הַחוּצָה, וְנִשְׁאֲרוּ בָּאֹהֶל רַק הוּא וְהַשֵּׁיךְ חָלִיל.
נִגַּשׁ הַדֶּרְוִישׁ אֶל הַשֵּׁיךְ, וְאָמַר לוֹ דְּבָרִים אֲחָדִים
בְּאָזְנוֹ. נִבְהַל הַשֵּׁיךְ וְאָמַר: "אֵיךְ אֶפְשָׁר?.."
"אֶפְשָׁר", אָמַר הַדֶּרְוִישׁ. "הַכֹּל בִּידֵי אַלְלָה".
מָה אָמַר הַדֶּרְוִישׁ לַשֵּׁיךְ בְּאוֹתוֹ לַיְלָה אֵין אִישׁ
יוֹדֵעַ, אֲבָל לְמָחֳרָת בַּבֹּקֶר קָם הַשֵּׁיךְ וְגֵרֵשׁ אֶת
הַנָּשִׁים שֶׁלּוֹ. גַּם אֶת אִמּוֹ שֶׁל הַבֵּן הָאֶחָד שֶׁנִּשְׁאַר.

צָעֲקָה הָאִשָּׁה, בָּכְתָה וְנִשְּׁקָה אֶת רַגְלֵי בַּעֲלָהּ.
אֲבָל הַשֵּׁיךְ לֹא יָדַע רַחֲמִים. קָמָה הַמִּסְכֵּנָה, עָזְבָה
אֶת בַּעֲלָהּ וְאֶת בְּנָהּ הָאַחֲרוֹן, וְהָלְכָה לְאָן שֶׁהָלְכָה.
וְהַשֵּׁיךְ הֶעֱבִיר אֶת הָאֹהֶל שֶׁלּוֹ מִחוּץ לַמַּחֲנֶה, רָחוֹק
מִכָּל אָהֳלֵי הַשֵּׁבֶט. הוּא עָזַב אֶת כָּל עֲבוֹדָתוֹ, אֶת
כָּל הַתַּפְקִידִים שֶׁלּוֹ, וְטִפֵּל בַּתִּינוֹק בְּעַצְמוֹ. חָלַב
אֶת הַצֹּאן וּבְעַצְמוֹ נָתַן אֶת הֶחָלָב לַיֶּלֶד. שָׁנִים
רַבּוֹת יָשְׁבוּ הַזָּקֵן וּבְנוֹ הַקָּטָן בָּאֹהֶל לְבַדָּם. לְאָהֳלֵי
הַשֵּׁבֶט לֹא הָלְכוּ, וְשׁוּם אִשָּׁה לֹא בָּאָה לְאֹהֶל הַשֵּׁיךְ.
וְהַיֶּלֶד גָּדַל. הָיָה זֶה יֶלֶד יָפֶה, בָּרִיא וְחָכָם עַד
מְאֹד. כַּאֲשֶׁר הַזְּקֵנִים הָיוּ מִתְאַסְּפִים בָּעֶרֶב בְּאֹהֶל
הַשֵּׁיךְ, הָיָה גַּם הַיֶּלֶד יוֹשֵׁב אִתָּם, שׁוֹמֵעַ כָּל
דִּבְרֵיהֶם, וְהַשְּׁאֵלוֹת שֶׁשָּׁאַל, וְהַדְּבָרִים שֶׁאָמַר,

[صفحة ٢٢]

הָיוּ תָּמִיד מְלֵאִים חָכְמָה. שָׂמְחוּ הַזְּקֵנִים וְכָל בְּנֵי
הַשֵּׁבֶט עַל־כָּךְ מְאֹד מְאֹד.
אֲבָל הַשִּׂמְחָה שֶׁלָּהֶם לֹא הָיְתָה שְׁלֵמָה. מַה יִּהְיֶה
כַּאֲשֶׁר יִגְדַּל הַנַּעַר?..
וְהַנַּעַר גָּדַל וְהָיָה לְבָחוּר. אָבִיו וְכָל בְּנֵי הַשֵּׁבֶט
הָיוּ מַבִּיטִים בּוֹ יוֹם יוֹם בְּפַחַד. אֲבָל הוּא הָיָה
שָׁקֵט, וְלֹא יָדַע כָּל פַּחַד. כַּאֲשֶׁר נִגְמְרָה הַשָּׁנָה
הַשְּׁלוֹשׁ־עֶשְׂרֵה לְחַיֵּי הַנַּעַר, עָשָׂה הַשֵּׁיךְ חֲגִיגָה
גְּדוֹלָה לְכָל הַשֵּׁבֶט וּלְכָל הַשֵּׁיכִים הַשְּׁכֵנִים.
הַשֵּׁיךְ חָלִיל חָזַר מְעַט מְעַט לַתַּפְקִידִים שֶׁלּוֹ, וּבְנוֹ
הַנַּעַר עוֹזֵר לוֹ. וְאַנְשֵׁי הַשֵּׁבֶט אָמְרוּ בְּלִבָּם: אֱלֹהִים
רִחֵם עָלֵינוּ. הַפַּעַם יִחְיֶה הַנַּעַר.
אֲבָל לֹא כָּךְ חָשַׁב אֱלֹהִים.

יוֹם אֶחָד נִכְנַס בֶּן הַשֵּׁיךְ לְאֹהֶל אָבִיו, וּבְקוֹל רוֹעֵד
אָמַר:
– אָבִי, רָאִיתִי דָּבָר...
נִבְהַל הַשֵּׁיךְ וְשָׁאַל בְּפַחַד גָּדוֹל: "הַאִם הָלַכְתָּ אֶל
הָאֹהָלִים? וַהֲרֵי יוֹדֵעַ אַתָּה שֶׁאָסוּר לְךָ לָבוֹא לְשָׁם."
– לֹא לָאֹהָלִים הָלַכְתִּי, אָבִי. לַשָּׂדֶה הָלַכְתִּי.
רָאִיתִי בֶּן אָדָם, אֲבָל לֹא הָיָה זֶה גֶּבֶר. עַל הָרֹאשׁ
נָשְׂאָה כַּד מַיִם. רָאִיתִי אוֹתָהּ, וְהִתְחִיל הַלֵּב שֶׁלִּי
דּוֹפֵק. לֹא יָכֹלְתִּי לַעֲמוֹד. הָלַכְתִּי אַחֲרֶיהָ עַד
הָאֹהָלִים...
– וּמָה?..

[صفحة٢٣]

– נִכְנְסָה לְאַחַד הָאֹהָלִים, וַאֲנִי נִשְׁאַרְתִּי לְבַדִּי.
וְהַלֵּב דוֹפֵק וְדוֹפֵק. וּבָאתִי מַהֵר לְסַפֵּר לְךָ...
הַפָּנִים שֶׁל הַשֵּׁיךְ הָיוּ מְלֵאִים צַעַר. "בְּנִי", אָמַר,
"אַל תֵּצֵא מִן הָאֹהֶל וְאַל תַּבִּיט בְּשׁוּם אָדָם שֶׁאֵינֶנּוּ
גֶּבֶר. סַכָּנָה גְּדוֹלָה בַּדָּבָר בִּשְׁבִילְךָ".
– – לָמָּה, אָבִי?
– – הַשָּׂטָן הוּא. אִם תִּגַּע בּוֹ – – תָּמוּת מִיָּד.
מֵאוֹתוֹ יוֹם לֹא יָצָא הַבֵּן מִן הָאֹהֶל, וְהַשֵּׁיךְ שָׁמַר
עָלָיו מְאֹד. אֲבָל כְּבָר הָיָה מְאֻחָר.
בַּלֵּילוֹת הָיָה הַזָּקֵן שׁוֹמֵעַ אֶת הַבֵּן מִסְתּוֹבֵב מִצַּד
לְצַד, וְאֵינֶנּוּ יָכוֹל לִישׁוֹן.
– בְּנִי!
– כֵּן, אַבָּא.
– לָמָּה אֵין אַתָּה יָשֵׁן?
– אֵינֶנִּי יָכוֹל.
– לָמָּה?
– הַשָּׂטָן.
– קוּם הִתְפַּלֵּל, בְּנִי.

וְהָיוּ הַשְּׁנַיִם קָמִים, בּוֹכִים וּמִתְפַּלְּלִים לְרַחֲמִים
שֶׁל אַלְלָה.
עָבְרוּ הַרְבֵּה לֵילוֹת, וְלַיְלָה אֶחָד שָׂמַח הַזָּקֵן לִרְאוֹת
שֶׁהַבֵּן יָשֵׁן. שָׁכַב גַּם הוּא לִישׁוֹן וְלָנוּחַ מְעַט. פִּתְאֹם
צָעַק הַבֵּן בִּשְׁנָתוֹ צְעָקָה גְּדוֹלָה.
– בְּנִי, מַה לְּךָ?

[صفحة ٢٤]

– אַבָּא, אַבָּא... יָשַׁנְתִּי... הַרְבֵּה לֵילוֹת לֹא יָכֹלְתִּי לִישׁוֹן וְעַכְשָׁו יָשַׁנְתִּי... וַחֲלוֹם חָלַמְתִּי... בַּחֲלוֹמִי, בָּא אֵלַי הַשָּׂטָן, קָרוֹב קָרוֹב, וַאֲנִי נָשַׁקְתִּי לוֹ...

– וּמָה?

– רָצִיתִי לְנַשֵּׁק עוֹד, עוֹד וָעוֹד, אֲבָל הוּא בָּרַח. הִתְחַלְתִּי לָרוּץ אַחֲרָיו, נָפַלְתִּי, וְצָעַקְתִּי...

הוֹרִיד הַזָּקֵן אֶת הָרֹאשׁ, וּדְמָעוֹת חַמּוֹת נָפְלוּ מֵעֵינָיו. "אֵין טַעַם בְּכָל מַה שֶּׁעָשִׂיתָ" – אָמַר לְעַצְמוֹ. "כָּל הַקָּרְבָּנוֹת – לֹא עָזְרוּ."

בַּבֹּקֶר, כְּשֶׁיָּצָא הַשֵּׁיךְ לַשָּׂדֶה, אָמַר לִבְנוֹ שֶׁלֹּא יֵצֵא מִן הָאֹהֶל. אֲבָל כַּאֲשֶׁר חָזַר לָאֹהֶל – לֹא מָצָא שָׁם אֶת הַצָּעִיר. בָּעֶרֶב חָזַר הַבֵּן, חִוֵּר וְרוֹעֵד כֻּלּוֹ.

– אֵיפֹה הָיִיתָ?

– בָּאֳהָלִים. לֹא יָכֹלְתִּי לְהִשָּׁאֵר כָּאן. הַשָּׂטָן מָשַׁךְ, מָשַׁךְ...

– וּמָה?

– נִשַּׁקְתִּי...

וְהָעֵינַיִם שֶׁל הַבֵּן בָּעֲרוּ כְּמוֹ אֵשׁ. "אַבָּא!" – קָרָא, "לָמָּה שִׁקַּרְתָּ לִי"?

– לֹא שִׁקַּרְתִּי לְךָ, בְּנִי. מֵאֱלֹהִים הָיָה הַדָּבָר.

[صفحة ٢٥]

אֲבָל בְּלֵב הַשֵּׁיךְ בָּאָה תִּקְוָה חֲדָשָׁה: הִנֵּה זֶה נָשֵׁק, וְנִשְׁאַר חַי. אוּלַי לֹא יַעֲנִישׁ אוֹתוֹ אֱלֹהִים בַּפַּעַם הַזֹּאת...
אֲבָל הַבֵּן נַעֲשָׂה חִוֵּר יוֹתֵר, חַלָּשׁ יוֹתֵר, מִיּוֹם לְיוֹם. בַּלַּיְלָה לֹא יָשַׁן, בַּיּוֹם לֹא אָכַל. וְהַזָּקֵן רוֹאֶה, וְהַלֵּב מֵת מִצַּעַר. יוֹם אֶחָד אָמַר הַבֵּן:
– אַבָּא, אֵינֶנִּי יָכוֹל עוֹד. תֵּן לִי לָלֶכֶת רַק הַפַּעַם הַזֹּאת...
הִבִּיט בּוֹ הַזָּקֵן, הִבִּיט בּוֹ וּלְבַסּוֹף אָמַר: "לֵךְ".
כַּאֲשֶׁר חָזַר הַבֵּן, שׁוּב בָּעֲרוּ הָעֵינַיִם שֶׁלּוֹ כְּמוֹ אֵשׁ, וְכֻלּוֹ כְּאִלּוּ גָּדַל פִּתְאֹם. עוֹד הַפַּעַם חָשַׁב הַזָּקֵן: "הִנֵּה זֶה נָשַׁק שׁוּב, וְלֹא מֵת. אוּלַי יְרַחֵם אֱלֹהִים".
אֲבָל בַּבֹּקֶר שׁוּב הָיָה הַבֵּן חַלָּשׁ, בְּלִי כָּל כֹּחַ. בְּעֵינָיו לֹא הָיְתָה אֵשׁ, וְלֹא נִשְׁאַר בָּהֶן גַּם אוֹר. שָׁכַב בָּאֹהֶל יָמִים אֲחָדִים, עַד שֶׁעֶרֶב אֶחָד אָמַר לְאָבִיו:
– רַק עוֹד הַפַּעַם הַזֹּאת, אַבָּא. רַק עוֹד נְשִׁיקָה אַחַת. אֵינֶנִּי יָכוֹל...
– יִשְׁמֹר אוֹתְךָ אֱלֹהִים וְהַנָּבִיא!
חִכָּה הַזָּקֵן בָּאֹהֶל – וְהַבֵּן לֹא שָׁב. לְבַסּוֹף יָצָא לִרְאוֹת מַה קָּרָה. מֵרָחוֹק רָאָה אֲנָשִׁים בָּאִים, וּמַחֲזִיקִים בִּידֵיהֶם אִישׁ. נִכְנְסוּ לָאֹהֶל, וְהִנִּיחוּ אֶת

[صفحة ٢٦]

הַבֵּן עַל הָרִצְפָּה. עֵינָיו בָּעֲרוּ, אֲבָל כֹּחַ לֹא הָיָה לוֹ. אֲפִלּוּ לַעֲמוֹד עַל רַגְלָיו לֹא יָכוֹל.
– בְּנִי, מַה לְּךָ?
הַבֵּן שׁוֹתֵק. הַנְּשָׁמָה חַיָּה, הָעֵינַיִם בּוֹעֲרוֹת אֲבָל הַגּוּף מֵת.
וְעִם אוֹר הַבֹּקֶר – יָצְאָה נִשְׁמָתוֹ.

[صفحة ٢٧]

בת השיך

א

עַל הַגִּבְעָה עָמְדוּ שְׁתֵּי קְבוּצוֹת הַבָּתִּים זוֹ מוּל זוֹ, כְּמוֹ שְׁנֵי מַחֲנוֹת שֶׁל שׂוֹנְאִים. בְּמוֹרַד הַגִּבְעָה עָמְדוּ הַבָּתִּים שֶׁל חֲמוּלַת גַ'בְּלִי, הַבָּתִּים הַיְשָׁנִים, הַיָּפִים, שֶׁמִּסָּבִיב לָהֶם עֵצִים גְּדוֹלִים, וּמֵאֲחוֹרֵיהֶם כְּרָמִים שֶׁל זֵיתִים וְשֶׁל תְּאֵנִים. וּבְרֹאשׁ הַגִּבְעָה עָמְדוּ הַבָּתִּים שֶׁל חֲמוּלַת שַׁהֲלִי – – וְהֵם הַמְּעַט. מִסָּבִיב לָהֶם אֵין אַף עֵץ אֶחָד גָּדוֹל, הַכְּרָמִים שֶׁמֵּאֲחוֹרֵיהֶם צְעִירִים וְלֹא יָפִים – – וְהַכֹּל עֲדַיִן חָדָשׁ מְאֹד וְלֹא חָשׁוּב.

עוֹד בִּימֵי הַשֵּׁיךְ אִיבְּרָהִים, מִי שֶׁהָיָה רֹאשׁ חֲמוּלַת גַ'בְּלִי וּמֻכְתַּר הַכְּפָר, רָבוּ שְׁתֵּי הַמִּשְׁפָּחוֹת בֵּינֵיהֶן. בְּרֹאשׁ חֲמוּלַת שַׁהֲלִי עָמַד אָז הַשֵּׁיךְ עַבְּדְאַלָּה הַזָּקֵן, וְיוֹם אֶחָד הִתְחִילָה בֵּינוֹ וּבֵין הַשֵּׁיךְ אִיבְּרָהִים מְרִיבָה גְּדוֹלָה עַל חֶלְקַת אֲדָמָה אַחַת.

בְּנֵי גַ'בְּלִי הָיוּ הָרַבִּים וְהַחֲזָקִים. הֵם רָדְפוּ אֶת בְּנֵי שַׁהֲלִי וְהֵצִיקוּ לָהֶם, עַד אֲשֶׁר יָצְאוּ כָּל בְּנֵי שַׁהֲלִי מִן הַכְּפָר וּבָנוּ לָהֶם בָּתִּים בְּרֹאשׁ הַגִּבְעָה. הַשֵּׁיכִים

[صفحة ٢٨]

הַזְּקֵנִים, אִיבְּרָהִים וְעַבְּדַּאלָה, מֵתוּ בֵּינְתַיִם, אֲבָל
הַשִּׂנְאָה שֶׁבֵּין הַחֲמוּלוֹת נִשְׁאֲרָה.

חֲמוּלָה אַחַת לֹא נִכְנְסָה לְמָקוֹם שָׁם יָשְׁבָה הַחֲמוּלָה
הַשְּׁנִיָּה, לֹא דִּבְּרוּ זֶה עִם זֶה וְלֹא הִתְחַתְּנוּ אֵלֶּה
בְּאֵלֶּה. וְכַאֲשֶׁר הָלְכוּ הַנָּשִׁים מִשְּׁתֵּי הַמִּשְׁפָּחוֹת
לִשְׁאוֹב מַיִם מִן הַבְּאֵר הָאַחַת – עָמְדוּ אֵלּוּ בְּצַד
אֶחָד שֶׁל הַבְּאֵר וְאֵלּוּ בַּצַּד הַשֵּׁנִי. וְגַם כַּאֲשֶׁר מֵתוּ
לֹא רָצוּ לִשְׁכַּב זֶה בְּצַד זֶה. בְּנֵי שַׁהֲלִי הֵקִימוּ לָהֶם
גַּם בֵּית־קְבָרוֹת מִשֶּׁלָּהֶם...
וְאֵצֶל בְּנֵי שַׁהֲלִי נוֹלְדוּ תָּמִיד, אוֹ כִּמְעַט תָּמִיד–
בָּנוֹת. הַבָּנִים – מְעַטִּים מְאֹד. וְהָיוּ הֵם לִצְחוֹק
בְּפִי הַשּׂוֹנְאִים שֶׁלָּהֶם, בְּנֵי גַ׳בְּלִי. אֵלּוּ קָרְאוּ לָהֶם:
״אַבּוּ אַל־בַּנַת!״
אֲבָל אֵין רַע בְּלִי טוֹב. הַבָּנוֹת אֲשֶׁר לַחֲמוּלַת שַׁהֲלִי
– לֹא הָיוּ דּוֹמוֹת לָהֶן בְּיֹפִי, בְּחָכְמָה וּבִגְבוּרָה
בְּכָל הַסְּבִיבָה. וְכַאֲשֶׁר הָיוּ שְׁתֵּי הַמִּשְׁפָּחוֹת רָבוֹת,
הָיוּ בְּנוֹת שַׁהֲלִי עוֹזְרוֹת לָאָבוֹת וְלָאַחִים שֶׁלָּהֶן.
אָז צָחֲקוּ אַנְשֵׁי הַכְּפָרִים לִבְנֵי גַ׳בְּלִי, וְהָיוּ אוֹמְרִים
עֲלֵיהֶם, שֶׁנָּשִׁים מְנַצְּחוֹת אוֹתָם...
וְהַבַּחוּרִים מִכָּל הַסְּבִיבָה רָצוּ לְהִתְחַתֵּן בִּבְנוֹת
שַׁהֲלִי הַיָּפוֹת. הֵן הָיוּ יָפוֹת וַחֲכָמוֹת, וְגַם אַחִים

[صفحة ٢٩]

לֹא הָיוּ לָהֶן, לִשְׁמוֹר עֲלֵיהֶן. לָכֵן, מִי שֶׁהִתְחַתֵּן
עִם אַחַת מֵהֶן לֹא הָיָה צָרִיךְ לָלֶכֶת לַצָּבָא.
וְהַחֲתָנִים שֶׁל בְּנוֹת שַׁהֲלִי לֹא לָקְחוּ אוֹתָן לַכְּפָרִים
שֶׁלָּהֶם, אֶלָּא בָּאוּ לָשֶׁבֶת יַחַד עִם הָאָבוֹת שֶׁל
הַנָּשִׁים, וְהָיוּ הֵם בִּמְקוֹם הַבָּנִים שֶׁלֹּא נוֹלְדוּ. וּבְנֵי
גַ׳בְּלִי רוֹאִים אֶת הַכְּפָר שֶׁהֵם שׂוֹנְאִים מָלֵא בַּחוּרִים

צְעִירִים וַחֲזָקִים... עָמֹק בַּלֵּב, רָצוּ גַּם הֵם
לְהִתְחַתֵּן בִּבְנוֹת שַׁהֲלִי. אֶת הַכְּרָמִים הַיָּפִים, אֶת
הָאֲדָמָה, אֶת הַצֹּאן – הַכֹּל הָיוּ נוֹתְנִים אִלּוּ יָכְלוּ
לָקַחַת אוֹתָן לְנָשִׁים. אֲבָל פַּחַד הַזְּקֵנִים הָיָה עֲלֵיהֶם.

ב

וּלְחָלִיל, בְּנוֹ שֶׁל הַשֵּׁיךְ עַבְדְאַלָּה, מִי שֶׁהָיָה רֹאשׁ
חֲמוּלַת שַׁהֲלִי – בַּת יְחִידָה. לֹא הָיְתָה נַעֲרָה יָפָה
כְּמוֹ פַּסְמָה, בַּת הַשֵּׁיךְ חָלִיל, בְּכָל כְּפָרֵי־עֲרָב.
עֵינַיִם שְׁחוֹרוֹת וַעֲמֻקּוֹת לָהּ, וְכַאֲשֶׁר הָיָה אֶחָד
הַבַּחוּרִים מַבִּיט לְתוֹךְ הָעֵינַיִם הָאֵלּוּ הָיָה נַעֲשֶׂה
מִיָּד שִׁכּוֹר כְּמוֹ מִיַּיִן. וְהָיוּ הַבַּחוּרִים עוֹמְדִים
וּמְחַכִּים בַּחוּץ שָׁעוֹת רַבּוֹת כְּדֵי לִרְאוֹת אֶת פַּסְמָה
עוֹבֶרֶת, לְהַבִּיט לְתוֹךְ הָעֵינַיִם שֶׁלָּהּ, וְלִשְׁמוֹעַ אֶת
הַקּוֹל שֶׁלָּהּ – קוֹל שֶׁל פַּעֲמוֹן כֶּסֶף. וְאֶת הַצְּחוֹק
שֶׁלָּהּ אָהֲבוּ לֹא רַק הַבַּחוּרִים, כִּי אִם גַּם הַנָּשִׁים.

[صفحة ٣٠]

"צַחֲקִי פַּסְמָה", הָיוּ אוֹמְרוֹת לָהּ. וְהִיא צוֹחֶקֶת,
וְכָל הַנָּשִׁים צוֹחֲקוֹת אִתָּהּ יַחַד מֵרֹב תַּעֲנוּג.
יוֹם אֶחָד הִתְחִילוּ לְדַבֵּר בַּכְּפָר וּלְסַפֵּר, שֶׁהַבֵּן
הַצָּעִיר שֶׁל הַשֵּׁיךְ אִיבְּרָהִים, מִי שֶׁהָיָה רֹאשׁ חֲמוּלַת
גַּ'בְּלִי, אוֹהֵב אֶת פַּסְמָה... וְהִיא – אוֹי לְכֻלָּנוּ –
מַחֲזִירָה לוֹ אַהֲבָה... כָּעֲסוּ מְאֹד בְּנֵי שַׁהֲלִי. הַאִם
נִשְׁמַע כַּדָּבָר הַזֶּה בְּכָל עוֹלָמוֹ שֶׁל אַלְלָה? אֶת
הַבַּת הַיְחִידָה שֶׁל הַשֵּׁיךְ שֶׁלָּהֶם, שֶׁל חָלִיל, אֶת
פַּסְמָה הַיְפֵהפִיָּה, יִקַּח אִישׁ זָר וְשׂוֹנֵא? הֶחְלִיטוּ
אַנְשֵׁי הַחֲמוּלָה לֹא לוֹמַר בֵּינְתַיִם שׁוּם דָּבָר לַהוֹרִים
הַזְּקֵנִים שֶׁל פַּסְמָה, כִּי הַשֵּׁיךְ חָלִיל וְאִשְׁתּוֹ שָׁמְרוּ
אֶת פַּסְמָה כְּמוֹ שֶׁשּׁוֹמְרִים אוֹצָר. בַּחוּרִים רַבִּים
הָיוּ בָּאִים אֲלֵיהֶם מִכָּל הַכְּפָרִים בַּסְּבִיבָה לְבַקֵּשׁ
אֶת יָדָהּ שֶׁל הַבַּת. אֲבָל הֵם חִכּוּ לַטּוֹב שֶׁבַּבַּחוּרִים,
לֶעָשִׁיר שֶׁבֵּינֵיהֶם, לַיָּפֶה מִכֻּלָּם. רַק עַל דָּבָר אֶחָד
הִתְפַּלְּאוּ: מִיּוֹם שֶׁהִתְחִילוּ הַבַּחוּרִים לָבוֹא, נִהְיוּ
הַפָּנִים שֶׁל פַּסְמָה יוֹתֵר וְיוֹתֵר עֲצוּבִים...
הֶחְלִיטוּ בְּנֵי שַׁהֲלִי לִשְׁמוֹר עַל פַּסְמָה. אִם יִמְצְאוּ
אוֹתָהּ יַחַד עִם בֶּן־גַּ'בְּלִי – יַהַרְגוּ אֶת שְׁנֵיהֶם! כָּךְ
הֶחְלִיטוּ.
אַחֲרֵי שָׁבוּעוֹת אֲחָדִים הִתְחִילוּ לְדַבֵּר וּלְסַפֵּר
בַּכְּפָר שֶׁפַּסְמָה הָרָה. תְּחִלָּה אָמְרוּ אֶת הַדָּבָר

[صفحة ٣٢]

מִתּוֹךְ פַּחַד. הַאִם אֶפְשָׁר כַּדָּבָר הַזֶּה? אַחַר־כָּךְ חָשְׁבוּ: אוּלַי רַק סִפּוּר הוּא, וְלֹא אֱמֶת. אֲבָל הַפָּנִים שֶׁל פַּטְמָה נִהְיוּ עוֹד יוֹתֵר עֲצוּבִים, וְהָעֵינַיִם הַשְּׁחוֹרוֹת שֶׁלָּהּ כְּבָר לֹא הָיוּ נוֹצְצוֹת כְּמוֹ קֹדֶם... דִּבְּרוּ עַל־כָּךְ הַצְּעִירִים, וְהַדָּבָר הִגִּיעַ גַּם לְאָזְנֵי הַזְּקֵנִים. רַק הַשֵּׁיךְ חָלִיל וְאִשְׁתּוֹ לֹא יָדְעוּ דָּבָר. הֵם עֲדַיִן חִכּוּ שֶׁיָּבוֹא הֶחָתָן הַמַּתְאִים בִּשְׁבִיל בִּתָּם.

ג

יוֹם אֶחָד אַחֲרֵי הַצָּהֳרַיִם חָזְרָה פַּטְמָה מִן הַבְּאֵר וְכַד הַמַּיִם עַל רֹאשָׁהּ. פָּגְשׁוּ אוֹתָהּ נְשֵׁי הַחֲמוּלָה, שֶׁהָלְכוּ גַּם הֵן אֶל הַבְּאֵר וְכַדִּים עַל רָאשֵׁיהֶן. רָאוּ אֶת פַּטְמָה, הִבִּיטוּ עָלֶיהָ מִכָּל צַד, נָגְעוּ בַּבֶּטֶן שֶׁלָּהּ, וְהִתְחִילוּ לִצְעוֹק:

– בּוּשָׁה הִיא מְבִיאָה עַל כֻּלָּנוּ, עַל כָּל בְּנוֹת שַׁהֲלִי! אֲרוּרָה הִיא!

וּפַטְמָה עוֹמֶדֶת וְאֵימָה זָזָה. הַפָּנִים שֶׁלָּהּ לְבָנִים מְאֹד, מְלֵאִים פַּחַד. אֲבָל אֵין הִיא אוֹמֶרֶת אַף מִלָּה אַחַת. אֵין הִיא מְבַקֶּשֶׁת רַחֲמִים וְאֵין הִיא בּוֹכָה.

[صفحة ٣٢]

צָעֲקוּ הַנָּשִׁים:
- הַגִּידִי, אֲרוּרָה, לְמִי אַתְּ הָרָה? הַגִּידִי – וְיָמוּת הוּא בִּמְקוֹמֵךְ! נִהְיוּ הַפָּנִים שֶׁל פַּסְמָה אֲדֻמִּים מְאֹד, וְאַחַר־כָּךְ לְבָנִים מְאֹד. אֲבָל אַף מִלָּה אֵין הִיא אוֹמֶרֶת.
כָּעֲסוּ הַנָּשִׁים מְאֹד. כָּעֲסוּ עַל הַיֹּפִי שֶׁל פַּסְמָה, עַל הַגְּבוּרָה שֶׁלָּהּ, עַל הַשְּׁתִיקָה שֶׁלָּהּ... זָרְקָה אַחַת מִן הַנָּשִׁים אֶת הַכַּד שֶׁלָּהּ בְּרֹאשׁ פַּסְמָה. הִתְחִילוּ הַנָּשִׁים לִצְעוֹק כֻּלָּן יַחַד, וְלִזְרוֹק בָּהּ אֶת הַכַּדִּים. וּפַסְמָה – שׁוֹתֶקֶת. אַף מִלָּה, אַף צְעָקָה, לֹא יָצְאָה מִפִּיהָ.
נָפְלָה פַּסְמָה עַל הָאֲדָמָה, וְהַנָּשִׁים עֲדַיִן מַכּוֹת – עַל הָרֹאשׁ, עַל הַגַּב, עַל הַבֶּטֶן. פַּסְמָה אֵינֶנָּה זָזָה, פַּסְמָה כְּבָר מֵתָה – וְהַנָּשִׁים עֲדַיִן מַכּוֹת וּמַכּוֹת, צוֹעֲקוֹת וּמַכּוֹת...

[صفحة ٣٤]

עַבְדוּל־הַדִּי

א

הַכְּפָר אֲשֶׁר בּוֹ נוֹלַד עַבְדוּל־הַדִּי הָיָה כְּפָר קָטָן
מְאֹד. בָּתִּים אֲחָדִים, עַל הַסְּלָעִים שֶׁבֵּין הָרֵי יְהוּדָה.
רָחוֹק מִכָּל מָקוֹם אַחֵר וְגַם מִן הַדְּרָכִים הַגְּדוֹלוֹת.
שָׁנִים עָבְרוּ, וְאִישׁ זָר לֹא בָּא לַכְּפָר. הָעוֹלָם לֹא
יָדַע עַל הַכְּפָר, וְהַכְּפָר לֹא יָדַע עַל הָעוֹלָם.
אֲדָמָה לַעֲבוֹד אוֹתָהּ הָיְתָה שָׁם רַק מְעַט, אֲבָל
הַצֹּאן הָיָה רַב, וְכָל בְּנֵי הַכְּפָר – רוֹעֵי צֹאן הָיוּ.
בְּנֵי הַכְּפָר לֹא יָדְעוּ מָה חָדָשׁ בָּעוֹלָם, וְעַל
הַמּוֹשְׁלִים וְהַגִּבּוֹרִים בְּנֵי הַזְּמַן לֹא שָׁמְעוּ. מִפְּנֵי
זֶה דִּבְּרוּ תָּמִיד עַל הַגִּבּוֹר שֶׁאֶת שְׁמוֹ שָׁמְעוּ, וְעָלָיו
יָדְעוּ – אִבְּרָהִים־פֶּחָה. יוֹשְׁבִים הָיוּ הַזְּקֵנִים יַחַד,
מִסָּבִיב לָהֶם כָּל יַלְדֵי הַכְּפָר, וּמְסַפְּרִים עַל
הַגְּבוּרָה וְעַל הַצֶּדֶק שֶׁל הַמּוֹשֵׁל הַזֶּה. וְכֻלָּם שׁוֹמְעִים
וְחַיִּים יַחַד עִם הַזְּקֵנִים אֶת הַזְּמַנִּים הָהֵם.

רֹאשׁ הַמְּסַפְּרִים הָיָה הַזָּקֵן סַלִיח, אָבִיו שֶׁל עַבְדוּל־
הַדִּי. הוּא נִלְחַם בַּצָּבָא שֶׁל אִבְּרָהִים־פֶּחָה, וְהָלַךְ
אַחֲרָיו עַד עַכּוֹ וְעַד הַחֶרְמוֹן, עַד דַּמֶּשֶׂק וְעַד
קוּשְׁטָא...

[صفحة ٣٥]

מְסַפֵּר סַלִיח עַל הַסּוּסָה הַנִּפְלָאָה שֶׁל הַגִּבּוֹר, שֶׁשּׁוּם סוּס אַחֵר לֹא יָכוֹל לְהַשִּׂיג אוֹתָהּ, וְשׁוּם כַּדּוּר לֹא יָכוֹל לִפְגּוֹעַ בָּהּ...

מְסַפֵּר סַלִיח עַל הָרוֹבֶה שֶׁל אַבְרָהִים־פֶּחָה, רוֹבֵה־הַפְּלָאִים. כַּדּוּרִים לְאֵין מִסְפָּר יָרָה, וְאַף פַּעַם לֹא הֶחֱטִיא אֶת הַמַּטָּרָה ... וְכָל בְּנֵי הַכְּפָר שׁוֹמְעִים אֶת הַדְּבָרִים הַנִּפְלָאִים, – שׁוֹמְעִים וְאֵינָם מוֹצִיאִים מִפִּיהֶם הַפָּתוּחַ דִּבּוּר אֶחָד. וְגַם הַנַּעַר עַבְדּוּל־הַדִּי שׁוֹמֵעַ אֶת דִּבְרֵי אָבִיו, הֶחָיָל שֶׁל אַבְרָהִים־פֶּחָה, וְחוֹלֵם עַל הַגִּבּוֹר הַגָּדוֹל וְעַל רוֹבֶה־הַפְּלָאִים שֶׁלּוֹ.
כַּאֲשֶׁר מֵת סַלִיח, קִבֵּל עַבְדּוּל־הַדִּי אֶת הָרוֹבֶה שֶׁל אָבִיו, הָרוֹבֶה שֶׁבּוֹ נִלְחַם תַּחַת הַדֶּגֶל שֶׁל אַבְרָהִים־פֶּחָה. כָּל הַבַּחוּרִים בַּכְּפָר קִנְּאוּ בּוֹ בִּגְלַל הָרוֹבֶה הַזֶּה. וְעַבְדּוּל־הַדִּי יָדַע וְהֵבִין שֶׁמַּזָּל גָּדוֹל הָיָה לוֹ, וְלָמַד הֵיטֵב הֵיטֵב לְהִשְׁתַּמֵּשׁ בִּכְלִי הַיָּקָר. אַחֲרֵי זְמַן קָצָר יָדְעוּ כָּל בְּנֵי הַכְּפָר, וְגַם בְּנֵי הַכְּפָרִים אֲשֶׁר בֶּהָרִים מִסָּבִיב, שֶׁאֵין רוֹבֶה בָּעוֹלָם כְּמוֹ הָרוֹבֶה שֶׁל עַבְדּוּל־הַדִּי. וְעַבְדּוּל־הַדִּי אָהַב אֶת הָרוֹבֶה שֶׁלּוֹ, וְשָׁמַר עָלָיו מְאֹד.
עָבְרוּ שָׁנִים וְעַבְדּוּל־הַדִּי נָשָׂא אִשָּׁה וְהוֹלִיד בָּנִים. הוּא אָהַב אֶת אִשְׁתּוֹ וְאֶת בָּנָיו, אֲבָל בְּנֵי הַכְּפָר

[صفحة ٢٦]

הָיוּ אוֹמְרִים: "יוֹתֵר מִשֶּׁאוֹהֵב עַבְּדוּל־הַדִּי תָּא אִשְׁתּוֹ, אֶת בָּנָיו וְאֶת צֹאנוֹ – אוֹהֵב הוּא אֶת הָרוֹבֶה שֶׁלּוֹ..."
וְעַבְּדוּל־הַדִּי הָיָה אוֹמֵר: "הָרוֹבֶה הַזֶּה לֹא הֶחֱטִיא אַף פַּעַם אֶת הַמַּטָּרָה." אַחֲרֵי שֶׁהָרַג אֶת הַדֻּבָּה, הֶאֱמִינוּ כֻּלָּם לִדְבָרָיו.

ב

הַדֻּבָּה הָיְתָה שָׁנִים רַבּוֹת בִּסְבִיבוֹת הַכְּפָר, וְאַף אֶחָד לֹא יָכוֹל לַהֲרוֹג אוֹתָהּ. בְּנֵי הַכְּפָר הֶאֱמִינוּ, שֶׁאֵין זוֹ חַיָּה פְּשׁוּטָה, אֶלָּא מִין שָׂטָן. הֵם פָּחֲדוּ לָצֵאת מִן הַכְּפָר בַּלַּיְלָה, מִפַּחַד הַשָּׂטָן. עַד שֶׁקָּם עַבְּדוּל־הַדִּי וְיָצָא לַהֲרוֹג אֶת הַדֻּבָּה. יָשַׁב כָּל הַלַּיְלָה עַל יַד הַמְּעָרָה, וְכַאֲשֶׁר הַחַיָּה יָצְאָה, הֵמִיתִי אוֹתָהּ בְּכַדּוּר אֶחָד.
אָז יָדְעוּ כֻּלָּם שֶׁהָרוֹבֶה שֶׁל עַבְּדוּל־הַדִּי אֵינֶנּוּ רוֹבֶה פָּשׁוּט...
לְאַט לְאַט הִתְחִילוּ לְהַזְמִין אֶת עַבְּדוּל־הַדִּי לִכְפָרִים אֲחֵרִים, לַהֲרוֹג דֻּבּוֹת. וְתָמִיד הָיָה חוֹזֵר מְנַצֵּחַ. כָּל מִי שֶׁדִּבֵּר עַל עַבְּדוּל־הַדִּי הַגִּבּוֹר,

[صفحة ٣٧]

דִּבֵּר תָּמִיד גַּם עַל רוֹבֵה־הַפְּלָאִים שֶׁלּוֹ, שֶׁאֵין עוֹד אֶחָד כָּמוֹהוּ בְּכָל הָעוֹלָם.
וּבַמְּקוֹמוֹת הָהֵם חַי שֵׁיךְ עָשִׁיר, שֶׁשָּׁמַע עַל הָרוֹבֶה הַזֶּה וְרָצָה מְאֹד לִקְנוֹת אוֹתוֹ. קָרָא הַשֵּׁיךְ אֶת עַבְּדוּל־הַדִּי וְאָמַר לוֹ:
– מְכֹר לִי אֶת הָרוֹבֶה שֶׁלְּךָ.
עַבְּדוּל־הַדִּי לֹא עָנָה דָּבָר, אֲבָל בְּלִבּוֹ צָחַק לַשֵּׁיךְ.
– עֶשֶׂר לִירוֹת זָהָב אֶתֵּן לְךָ! – אָמַר הַשֵּׁיךְ.
נִבְהַל עַבְּדוּל־הַדִּי לִשְׁמוֹעַ עַל כֶּסֶף רַב כָּל־כָּךְ.
אַף פַּעַם לֹא רָאָה כֶּסֶף כָּזֶה אֲפִלּוּ בַּחֲלוֹם. רְגָעִים אֲחָדִים עָמַד, וְרֹאשׁוֹ לְמַטָּה. לְבַסּוֹף הֵרִים אֶת הָרֹאשׁ וְאָמַר: "לֹא!"

עֶשְׂרִים וְחָמֵשׁ שָׁנָה מְשָׁרֵת אוֹתוֹ הָרוֹבֶה הַזֶּה, וְאֵיךְ יִמְכֹּר אוֹתוֹ? רוֹבֶה זֶה – רַק בִּימֵי אַבְרָהִים־פֶּחָה יָדְעוּ לַעֲשׂוֹת כָּמוֹהוּ...
לֹא, אֶת הָרוֹבֶה שֶׁלּוֹ, אֶת הַכָּבוֹד שֶׁלּוֹ, לֹא יִתֵּן – בְּעַד כָּל כֶּסֶף שֶׁבָּעוֹלָם!
הַשֵּׁיךְ כָּעַס מְאֹד, וְלֹא שָׁכַח מַה שֶּׁעָשָׂה לוֹ עַבְּדוּל־הַדִּי. אַחֲרֵי זְמַן קָצָר קָרָא שׁוּב לְעַבְּדוּל־הַדִּי וְאָמַר לוֹ:
– תֵּן לִי אֶת הָרוֹבֶה, וְלֹא אֶקַּח אֶת הַבֵּן שֶׁלְּךָ לַצָּבָא.
שָׁמַע עַבְּדוּל־הַדִּי, וְעָמַד נִבְהָל מְאֹד. אֶת בְּנוֹ

[صفحة ٢٨]

הוּא יָכוֹל לְהַצִּיל! לָקַח אֶת הָרוֹבֶה לָתֵת אוֹתוֹ לַשֵּׁיךְ. אֲבָל רַק נָגַע בָּרוֹבֶה הַיָּקָר, יָדַע שֶׁלֹּא יוּכַל לַעֲשׂוֹת זֹאת.
– לֹא. לֹא אֶתֵּן . . .
יָצָא עַבְּדוּל־הַדִּי מִבֵּית הַשֵּׁיךְ, וְלִבּוֹ מַר מְאֹד. אִשְׁתּוֹ בָּכְתָה יוֹמָם וָלַיְלָה שֶׁיַּצִּיל אֶת הַבֵּן, שֶׁיִּתֵּן אֶת הָרוֹבֶה. הַבֵּן לֹא אָמַר דָּבָר. אֲבָל הוּא הִבִּיט בְּאָבִיו בְּעֵינַיִם מְלֵאוֹת אֱמוּנָה וְתִקְוָה. וְהַמַּבָּט הַזֶּה שֶׁל הַבֵּן הָיָה קָשֶׁה לְעַבְּדוּל־הַדִּי יוֹתֵר מִכָּל הַבְּכִיּוֹת שֶׁל אִשְׁתּוֹ. אֲבָל אֶת הָרוֹבֶה לֹא נָתַן. גַּם הַפַּעַם נִצַּח הָרוֹבֶה.
הַבֵּן הָלַךְ לַצָּבָא.

ג

וְהִנֵּה, אָסוֹן אַחֲרֵי אָסוֹן!
יוֹם אֶחָד קָרְאוּ לְעַבְּדוּל־הַדִּי לַהֲרוֹג דֻּבָּה בְּאַחַד הַכְּפָרִים. הַדֻּבָּה הַזֹּאת הֵבִיאָה אֲסוֹנוֹת רַבִּים לַכְּפָר הַזֶּה – וְהֵם לֹא יָכְלוּ לַהֲרֹג אוֹתָהּ.
כַּאֲשֶׁר הִגִּיעַ עַבְּדוּל־הַדִּי לַכְּפָר, וְאַנְשֵׁי הַכְּפָר רָאוּ אֶת הָרוֹבֶה הַיָּשָׁן שֶׁלּוֹ, הֵבִיאוּ לוֹ מַהֵר רוֹבֶה חָדָשׁ. אֲבָל עַבְּדוּל־הַדִּי צָחַק לָהֶם. הַאִם יַחֲלִיף אֶת הָרוֹבֶה שֶׁל אַבְרָהִים־פֶּחָה בְּאַחֵר?
בַּלַּיְלָה, כַּאֲשֶׁר יָצְאָה הַדֻּבָּה, הֵרִים עַבְּדוּל־הַדִּי אֶת הָרוֹבֶה, וְכִוֵּן אוֹתוֹ לְרֹאשׁ הַחַיָּה. הָיְתָה דְּפִיקָה.

[صفحة ٣٩]

אֲבָל הַכַּדּוּר לֹא יָצָא. אַחֲרֵי עֶשְׂרִ־ים וְחָמֵשׁ שָׁנָה בָּגַד בּוֹ הָרוֹבֶה, בַּפַּעַם הָרִאשׁוֹנָה...

וְהַדֻּבָּה הָלְכָה וּבָאָה יָשָׁר אֶל עַבְדּוּל־הַדִּי. פָּחַד הַמִּסְכֵּן כָּל־כָּךְ שֶׁלֹּא יָכוֹל לְהָזִיז יָד אוֹ רֶגֶל. אֲפִלּוּ לָשִׂים כַּדּוּר חָדָשׁ בָּרוֹבֶה לֹא יָכוֹל.

כַּאֲשֶׁר הָיְתָה הַדֻּבָּה קְרוֹבָה מְאֹד אֶל עַבְדּוּל־הַדִּי, פָּנְתָה פִּתְאֹם וְחָזְרָה לַמְּעָרָה. אֲבָל הַשְּׂעָרוֹת שֶׁל עַבְדּוּל־הַדִּי הָפְכוּ לָבָן...

עִם רֹאשׁ לָבָן חָזַר עַבְדּוּל־הַדִּי לִכְפָרוֹ. אֲבָל בְּלִבּוֹ אָמַר: רַק מִקְרֶה הָיָה זֶה. אֵין בָּעוֹלָם רוֹבִים כְּמוֹ הָרוֹבֶה הַזֶּה.

ד

יוֹם אֶחָד בָּא לַכְּפָר בְּנוֹ שֶׁל הַשֵּׁיךְ הֶעָשִׁיר, שֶׁבִּקֵּשׁ לִקְנוֹת אֶת הָרוֹבֶה שֶׁל עַבְדּוּל־הַדִּי. צָעִיר זֶה נָסַע בְּכָל הֶעָרִים הַגְּדוֹלוֹת – יָפוֹ, יְרוּשָׁלַיִם, בֵּירוּת וְאַלֶכְּסַנְדְּרִיָּה – וְרָאָה אֶת הָעוֹלָם. יָשְׁבוּ אַנְשֵׁי הַכְּפָר לִשְׁמוֹעַ אֶת אֲשֶׁר יְסַפֵּר הַצָּעִיר עַל הָעוֹלָם הַגָּדוֹל. סִפֵּר לָהֶם עַל הָאֳנִיּוֹת הַנּוֹסְעוֹת בַּיָּם, עַל הָרַכָּבוֹת הַהוֹלְכוֹת רָחוֹק בְּלִי סוּסִים, וְעַל הָרוֹבִים וְהַתּוֹתָחִים הַחֲדָשִׁים וְהַנִּפְלָאִים שֶׁעוֹשִׂים הַיּוֹם. אָז הוֹצִיא אֶת הָרוֹבֶה שֶׁלּוֹ, רוֹבֶה

[صفحة ٤٠]

חָדָשׁ וְיָפֶה, וְהֶרְאָה אוֹתוֹ לְכֻלָּם. אַחַר־כָּךְ נִגַּשׁ
אֶל עַבְּדוּל־הַדִּי וְאָמַר לוֹ:
– אָבִי רוֹצֶה לִקְנוֹת מִמְּךָ אֶת הָרוֹבֶה שֶׁלְּךָ בְּעֶשֶׂר
לִירוֹת זָהָב. וַאֲנִי – אֲפִלּוּ בְּמַתָּנָה לֹא הָיִיתִי
לוֹקֵחַ אוֹתוֹ מִמְּךָ. יוֹדֵעַ אַתָּה אֵיפֹה מְקוֹמוֹ שֶׁל
הָרוֹבֶה הַזֶּה? – בַּמִּזְבָּלָה!

אִלּוּ שָׁמַע עַבְּדוּל־הַדִּי דְּבָרִים כָּאֵלּוּ עַל אִשְׁתּוֹ,
אוֹ עַל בָּנָיו, לֹא הָיָה כּוֹעֵס יוֹתֵר. פָּנָיו הָיוּ לְבָנִים,
יָדָיו רָעֲדוּ. אֲבָל הוּא פָּחַד לַעֲנוֹת לְבֶן־הַשֵּׁיךְ
וְלוֹמַר לוֹ כָּל מַה שֶּׁבְּלִבּוֹ. לָכֵן אָמַר:
– וַאֲנִי לֹא אֶתֵּן אֶת הָרוֹבֶה שֶׁלִּי גַּם אִם תִּתֵּן לִי
בִּמְקוֹמוֹ עֲשָׂרָה כָּאֵלּוּ שֶׁלְּךָ.
– בִּשְׁבִיל לַהֲרוֹג כְּלָבִים – אָמַר בֶּן־הַשֵּׁיךְ
– מַסְפִּיק, אוּלַי, גַּם הָרוֹבֶה שֶׁלְּךָ...
כָּעַס עַבְּדוּל־הַדִּי מְאֹד וְצָעַק:

– הָרוֹבֶה שֶׁלִּי טוֹב דַּוְקָא מִפְּנֵי שֶׁהוּא יָשָׁן! הַיּוֹם
אֵין עוֹשִׂים רוֹבִים כָּאֵלּוּ. רַק בִּימֵי אִבְּרָהִים־פָּחָה
יָדְעוּ לַעֲשׂוֹת רוֹבִים טוֹבִים!..
בְּנֵי הַכְּפָר רָאוּ שֶׁעוֹד מְעַט יִהְיֶה שָׁם רִיב גָּדוֹל,
וְהִצִּיעוּ לְבֶן־הַשֵּׁיךְ וּלְעַבְּדוּל־הַדִּי לְנַסּוֹת וְלִרְאוֹת,
אֵיזֶה מִשְּׁנֵי הָרוֹבִים יוֹרֶה יוֹתֵר רָחוֹק.
הִסְכִּימוּ הַשְּׁנַיִם, וְיָצְאוּ לַשָּׂדֶה לְנַסּוֹת אֶת הָרוֹבִים.
שְׁנֵיהֶם שָׂמוּ לָהֶם מַטָּרָה רְחוֹקָה. הָרוֹבֶה שֶׁל בֶּן־

[صفحة ٤١]

הַשַּׁיִךְ הִשִּׂיג אֶת הַמַּטָּרָה, וְהַכַּדּוּר שֶׁל עַבְדּוּל־הַדִּי
נָפַל בְּאֶמְצַע הַדֶּרֶךְ...

ה

אֲבָל עַבְדּוּל־הַדִּי מָצָא נֶחָמָה: הָרוֹבֶה שֶׁלִּי
אֵינֶנּוּ יוֹרֶה רָחוֹק – חָשַׁב בְּלִבּוֹ – אֲבָל אֶת
הַמַּטָּרָה לֹא הֶחֱטִיא אַף פַּעַם.

אֲבָל גַּם הַנֶּחָמָה הַזֹּאת לֹא הֶחֱזִירָה לוֹ אֶת הַשִּׂמְחָה
לְיָמִים רַבִּים.

בְּנוֹ, שֶׁעָבַד בַּצָּבָא שְׁמוֹנֶה שָׁנִים, חָזַר הַבַּיְתָה. בָּאוּ
כָּל בְּנֵי הַכְּפָר לְבָרֵךְ אוֹתוֹ בְּ־בָּרוּךְ הַבָּא־ וְלִשְׁמוֹעַ
מִפִּיו חֲדָשׁוֹת מִן הָעוֹלָם הַגָּדוֹל.

סִפֵּר הַבֵּן עַל אֳנִיּוֹת, עַל רַכָּבוֹת וְעַל הָרוֹבִים
הַחֲדָשִׁים שֶׁל הַצָּבָא...

עָמַד הַזָּקֵן וְשָׁמַע לְסִפּוּרֵי בְּנוֹ. כַּאֲשֶׁר שָׁמַע עַל
הָרוֹבִים צָחַק וְאָמַר:

– הָרוֹבִים הַחֲדָשִׁים שֶׁלָּכֶם יוֹרִים יוֹתֵר רָחוֹק
מִן הַיְשָׁנִים. אֲבָל מַה זֶּה חָשׁוּב, אִם אֵין הֵם קוֹלְעִים
לַמַּטָּרָה? רַק בִּימֵי אִבְרָהִים־פֶּחָה יָדְעוּ לַעֲשׂוֹת
רוֹבִים טוֹבִים.

אָמַר הַבֵּן:

– כֵּן אַבָּא, אֲבָל הָרוֹבֶה שֶׁלְּךָ אֵינֶנּוּ מַחֲטִיא
מִפְּנֵי שֶׁאַתָּה הוּא הַיּוֹרֶה בּוֹ. קַח, בְּבַקָּשָׁה, אֶת

[صفحة ٤٢]

הָרוֹבֶה שֶׁלִּי, וְנַסֵּה לִירוֹת בּוֹ. אָז תִּרְאֶה בְּעַצְמְךָ
מַה בֵּין הַיָּשָׁן לֶחָדָשׁ.
שָׁמַע עַבְדוּל־הַדִי אֶת הַדְּבָרִים הָאֵלּוּ מִפִּי הַצָּעִיר,
מִפִּי בְּנוֹ שֶׁלּוֹ, וְכָעַס כָּל־כָּךְ עַד שֶׁהֵרִים אֶת הַיָּד
לְהַכּוֹת אוֹתוֹ...
וּבְכָל זֹאת שָׁמַר אֶת דִּבְרֵי הַבֵּן בְּלִבּוֹ, וְהֵם לֹא
נָתְנוּ לוֹ מְנוּחָה.

ו

בַּלַּיְלָה, כַּאֲשֶׁר כָּל בְּנֵי הַכְּפָר יְשֵׁנוּ, קָם הַזָּקֵן
בְּשֶׁקֶט וְיָצָא מִחוּץ לַכְּפָר. בְּיָדָיו הָיוּ שְׁנֵי רוֹבִים

[صفحة ٤٣]

– זֶה שֶׁלּוֹ, וְהָרוֹבֶה הֶחָדָשׁ שֶׁהֵבִיא בְּנוֹ מִן הַצָּבָא.
הָלַךְ עַבְדוּל־הַדִּי רָחוֹק מִחוּץ לַכְּפָר, בְּמָקוֹם שֶׁאִישׁ לֹא יִרְאֶה אוֹתוֹ. עַכְשָׁו יֵדַע עִם מִי הַצֶּדֶק! עַכְשָׁו יִרְאֶה בְּעַצְמוֹ שֶׁהָרוֹבֶה שֶׁלּוֹ הוּא הַטּוֹב שֶׁבְּכָל הָרוֹבִים!

בֵּין הַסְּלָעִים הָיוּ עֵצִים אֲחָדִים. לָקַח הַזָּקֵן אֶת הָרוֹבֶה שֶׁלּוֹ וְיָרָה אֶל עֵץ אֶחָד; לָקַח אֶת הָרוֹבֶה שֶׁל בְּנוֹ וְיָרָה אֶל הָעֵץ הַשֵּׁנִי.
אַחַר־כָּךְ קָם וְהָלַךְ אֶל הָעֵצִים, הִבִּיט בָּהֶם, וְהוֹרִיד אֶת רֹאשׁוֹ בְּצַעַר.
חָזַר עַבְדוּל־הַדִּי אֶל שְׁנֵי הָרוֹבִים, וְנִסָּה אוֹתָם שׁוּב. וְעוֹד הַפַּעַם הָלַךְ לִרְאוֹת בָּעֵצִים.
עוֹד הַפַּעַם הוֹרִיד אֶת רֹאשׁוֹ.
אַחֲרֵי שֶׁנִּסָּה אֶת הָרוֹבִים בַּפַּעַם הַשְּׁלִישִׁית, לָקַח עַבְדוּל־הַדִּי אֶת הָרוֹבֶה שֶׁלּוֹ, אֶת הָרוֹבֶה שֶׁלֹּא רָצָה לִמְכּוֹר בְּעַד כֶּסֶף רַב וְגַם לֹא בִּמְחִיר הַחֹפֶשׁ שֶׁל בְּנוֹ, וְזָרַק אוֹתוֹ מֵרֹאשׁ הָהָר לְמַטָּה...
עִם אוֹר הַבֹּקֶר חָזַר הַזָּקֵן לְבֵיתוֹ, וּבְיָדוֹ רוֹבֶה אֶחָד, הָרוֹבֶה שֶׁל בְּנוֹ. אִישׁ לֹא רָאָה אוֹתוֹ יוֹצֵא וְאִישׁ לֹא רָאָה אוֹתוֹ חוֹזֵר. וְאַף אֶחָד מִבְּנֵי הַכְּפָר לֹא הֵבִין מַדּוּעַ חָלָה עַבְדוּל־הַדִּי פִּתְאֹם, לְמָחֳרַת אוֹתוֹ יוֹם, וּמֶה הָיְתָה הַמַּחֲלָה, שֶׁבָּהּ מֵת שָׁבוּעַ יָמִים אַחֲרֵי־כֵן...

[صفحة ٤٤]

גּוֹאֵל הַדָּם

א

הַשֵּׁיךְ חַג׳ אִיבְּרָהִים לְבֵית אִיּוּבִּי מִתְפַּלֵּל עַל גַּג הַבַּיִת שֶׁלּוֹ, וּפָנָיו לְצַד דָּרוֹם, אֶל קֶבֶר הַנָּבִיא אֲשֶׁר בְּמֶכָּה הָרְחוֹקָה. אֲבָל קָשֶׁה לוֹ הַיּוֹם לַחֲשׁוֹב עַל הַתְּפִלָּה שֶׁהוּא אוֹמֵר. בִּקְצֵה הַשָּׁמַיִם הוּא רוֹאֶה עֲנָנָה, שֶׁיֵּשׁ לָהּ צוּרָה שֶׁל יָד. וְלַיָּד אֶצְבָּעוֹת אֲרֻכּוֹת. מִן הָאֶצְבָּעוֹת מְטַפְטְפוֹת טִפּוֹת שֶׁל דָּם... נִדְמֶה לוֹ, שֶׁהַיָּד הַנּוֹרָאָה מְטַפְטֶפֶת אֶת הַדָּם עַל רֹאשׁוֹ...

– סַטַפַר אַלָּה אַל־עַזִים!

הַתְּפִלָּה בָּאָה מִתּוֹךְ לִבּוֹ. הוּא מְבַקֵּשׁ רַחֲמִים מֵאֵת הַקֶּבֶר הַקָּדוֹשׁ, שָׁם בַּדָּרוֹם, וּמֵאֵת הָאֱלֹהִים הָאֶחָד, שָׁם בַּשָּׁמַיִם. הוּא מְבַקֵּשׁ שֶׁיַּצִּילוּ אוֹתוֹ מִן הַסִּימָן הָרָע, מִן הַיָּד הָאֲדֻמָּה מִדָּם...

הַשֶּׁמֶשׁ שָׁקְעָה. הָעֲנָנָה אֵינֶנָּה. הַשֵּׁיךְ חַג׳ אִיבְּרָהִים אֵינֶנּוּ מְפַחֵד עוֹד. הוּא יוֹדֵעַ שֶׁשָּׁם, בַּשָּׁמַיִם, שָׁמְעוּ אֶת תְּפִלָּתוֹ...

הָעֶרֶב יָרַד עַל הַכְּפָר עַיּוּת, כְּפָרוֹ שֶׁל הַשֵּׁיךְ. הַפַּלָּחִים חוֹזְרִים מֵעֲבוֹדָתָם בַּשָּׂדוֹת. הַחֲמוֹרִים

[صفحة ٤٦]

וְהַגְּמַלִּים עוֹבְרִים לִפְנֵיהֶם, וְהַמַּחֲרֵשׁוֹת עַל גַּבֵּיהֶם·
כֻּלָּם מִתְאַסְּפִים סָבִיב לַמַּעְיָן, לְהִתְרַחֵץ מֵאֲבַק
הַיּוֹם וְלָתֵת לִשְׁתּוֹת לַבְּהֵמוֹת.

הַשֵּׁיךְ גָּמַר אֶת תְּפִלָּתוֹ, קִפֵּל אֶת הַשָּׁטִיחַ הַקָּטָן
וְשָׂם אוֹתוֹ בְּפִנַּת הַגַּג. אַחַר־כָּךְ יָרַד לְמַטָּה אֶל
הֶחָצֵר שֶׁלּוֹ, וְיָשַׁב בַּשַּׁעַר, בְּצֵל עֵץ הַתְּאֵנָה הַיָּפֶה.
הוּא לָקַח אֶת הַנַּרְגִּילָה, הִכְנִיס אֶת הַקָּצֶה אֶל
פִּיו, וְהִתְחִיל לְעַשֵּׁן. עִשֵּׁן וְהִבִּיט בַּפַּלָּחִים הַחוֹזְרִים
מִן הָעֲבוֹדָה. כָּל אֵלֶּה, כָּל בְּנֵי הַכְּפָר, עוֹבְדִים
בִּשְׁבִילוֹ. הֵם עוֹבְדִים אֶת הָאֲדָמָה, שֶׁקִּבֵּל
מֵאֲבוֹתָיו, וּמַכְנִיסִים לוֹ שָׁנָה שָׁנָה אֶת הַחֵלֶק
הַחֲמִישִׁי מִכָּל הַיְּבוּל. חֵלֶק אַחֵר שֶׁל אַדְמָתוֹ,
הַחֵלֶק הַקָּטָן, חוֹרְשִׁים וְזוֹרְעִים הַ־חַרָּתִים־ שֶׁלּוֹ.
לָהֶם הוּא מְשַׁלֵּם שְׂכַר שְׁנָתִי קָטָן, וְהַיְּבוּל כֻּלּוֹ
הוּא שֶׁלּוֹ. עַל הַ־חַרָּתִים־ מַשְׁגִּיחָה הַבַּת הַיְחִידָה
שֶׁבְּבֵיתוֹ.

הַחֹשֶׁךְ יָרַד עַל הַכְּפָר וְעַל הֶהָרִים מִסָּבִיב. לֵב
הַשֵּׁיךְ נָח וְשָׁקֵט, וְהוּא שָׁכַח לְגַמְרֵי אֶת הָעֵצָה
הַמְטַפְטֶפֶת דָּם...

[صفحة ٤٧]

ב

הַכְּפָר נָח. עַכְשָׁו הַשֵּׁיךְ מַקְשִׁיב לַקּוֹלוֹת שֶׁבָּאִים מִתּוֹךְ הֶחָצֵר שֶׁלּוֹ – לְקוֹלוֹת הַבְּהֵמוֹת, לְצַעֲקוֹת הַחַרָּתִים, וְלַקּוֹל הַמְּפַקֵּד שֶׁל בִּתּוֹ.
שׁוֹמֵעַ הוּא אֶת שַׁעַר הֶחָצֵר סוֹבֵב . מוֹצִיאִים אֶת הַבְּהֵמוֹת לַשָּׂדֶה, לְמִרְעֵה־לַיְלָה. עַכְשָׁו שֶׁקֶט גַּם בֶּחָצֵר. מֵאֲחוֹרֵי הַבַּיִת יוֹצֵאת הַבַּת וְנִגֶּשֶׁת אֶל הַשֵּׁיךְ. גְּבוֹהָה הִיא וְיָפָה, וּבְיָדָהּ – כָּל מַפְתְּחוֹת הַבַּיִת וְהֶחָצֵר. מֵאֲחוֹרֶיהָ הוֹלֵךְ פַּלָּח לֹא צָעִיר, אֲבָל חָזָק וּבָרִיא. זֶהוּ רֹאשׁ הַחַרָּתִים.

– אֱלֹהִים יְבָרֵךְ אֶת הָעֶרֶב שֶׁלְּךָ, אָבִי! – אוֹמֶרֶת הַבַּת וְנוֹשֶׁקֶת אֶת יַד הַזָּקֵן. גַּם הַחַרָּת מִשְׁתַּחֲוֶה לַשֵּׁיךְ וְנוֹשֵׁק אֶת יָדוֹ.
– יְבָרֵךְ אוֹתָךְ אֱלֹהִים, בַּת־הַחַיִל ! – עוֹנֶה הַשֵּׁיךְ.
– וְהִנֵּה הַמַּפְתְּחוֹת – אוֹמֶרֶת הַבַּת. – הַכֹּל סָגוּר וּבָטוּחַ. הָאֱלֹהִים שָׁלַח גַּם הַיּוֹם בְּרָכָה בַּשָּׂדוֹת, בַּבְּהֵמוֹת, וּבַעֲבוֹדַת הַפַּלָּחִים.
וְהַבַּת מוֹסֶרֶת אֶת הַמַּפְתְּחוֹת לִידֵי אָבִיהָ.
הַזָּקֵן לוֹקֵחַ אֶת הַמַּפְתְּחוֹת וְתוֹלֶה אוֹתָם עַל עֵץ הַתְּאֵנָה.

[صفحة ٤٨]

– מוֹדֶה אֲנִי לְאַלָּה עַל כָּל הַטּוֹב שֶׁעָשָׂה עִמָּנוּ!
– אוֹמֵר הַשֵּׁיךְ וְהַבַּת וְהַחֵרֶת עוֹנִים:
– לָא אַלָּה אִלָּא אַלָּה וַסָעִידְנוּ מְחַמָּד רָסוּל אַלָּה !..
– אַלָּה יְבָרֵךְ אֶת הָעֶרֶב שֶׁלָּכֶם! – מְבָרֵךְ הַשֵּׁיךְ אֶת בִּתּוֹ וְאֶת הַחֵרֶת וּמְזַמֵּן אוֹתָם לָשֶׁבֶת לְפָנָיו. הֵם עוֹנִים שְׁנֵיהֶם יַחַד:
– וְגַם אֶת הָעֶרֶב שֶׁלְּךָ!..
מֵאֲחוֹרֵי הַבַּיִת יוֹצֵא נַעַר מִן הַחֵרְתִים וּבְיָדוֹ כַּד מַיִם. הוּא שׁוֹפֵךְ מִן הַמַּיִם עַל הַיָּדַיִם שֶׁל שְׁלוֹשֶׁת הַיּוֹשְׁבִים, וְהֵם מְנַגְּבִים אוֹתָן בִּקְצֵה הַבֶּגֶד שֶׁלָּהֶם. הוֹלֵךְ הַנַּעַר וּבָא הָעֶבֶד אֲשֶׁר עַל הַבַּיִת – – כּוּשִׁי שָׁחוֹר, וּבְיָדוֹ מַגָּשׁ גָּדוֹל. עַל הַמַּגָּשׁ מַאֲכָלִים שׁוֹנִים. שָׂם הָעֶבֶד אֶת הַמַּגָּשׁ לִפְנֵי הַיּוֹשְׁבִים, וְהוֹלֵךְ.

הֵם לוֹקְחִים אֶת הַפִּתּוֹת, טוֹבְלִים אוֹתָן בְּקַעֲרוֹת הַמַּאֲכָלִים הַשּׁוֹנִים, וְאוֹכְלִים בְּשֶׁקֶט. אַף מִלָּה אֵין הֵם מְדַבְּרִים בִּשְׁעַת הַסְּעוּדָה. כַּאֲשֶׁר גּוֹמְרִים הֵם אֶת הַסְּעוּדָה, נִכְנָס הַכּוּשִׁי שׁוּב, וּמוֹצִיא אֶת הַמַּגָּשׁ הָרֵיק. אַחֲרָיו בָּא הַנַּעַר הַחֵרֶת עִם כַּד הַמַּיִם. עוֹד הַפַּעַם הֵם רוֹחֲצִים אֶת הַיָּדַיִם, וְהַפַּעַם גַּם אֶת הַפֶּה. הַשֵּׁיךְ אוֹמֵר:

[صفحة ٤٩]

– אַלְחַמְד לְאַלָּה !
וְהַבַּת וְהַחַבֶרֶת עוֹנִים אַחֲרָיו וְחוֹזְרִים עַל אוֹתָהּ הַבְּרָכָה, בִּרְכַּת הַתּוֹדָה.
הַשֵּׁיךְ לָקַח עוֹד הַפַּעַם אֶת הַנַּרְגִּילָה שֶׁלּוֹ, וְאַחֲרֵי שֶׁעִשֵּׁן רְגָעִים אֲחָדִים אָמַר:
– רְאִיתֶם לִפְנֵי שְׁקִיעַת הַשֶּׁמֶשׁ אֶת הַיָּד הַמְטַפְטֶפֶת דָּם?
– יָד?.. אֵיזוֹ יָד? – שָׁאֲלוּ הַבַּת וְהַחַבֶרֶת, וּשְׁנֵיהֶם מִתְפַּלְּאִים מְאֹד.
– הַאִם לֹא רְאִיתֶם כָּל יָד?
– לֹא, לֹא רָאִינוּ דָּבָר.
הַשֵּׁיךְ הוֹרִיד אֶת רֹאשׁוֹ וְשָׁתַק. כַּנִּרְאֶה הָיָה הַסִּימָן הַזֶּה רַק בִּשְׁבִילוֹ...
– מַה הַסִּימָן הַזֶּה, אָבִי? – שָׁאֲלָה הַבַּת.
– סִימָן שֶׁל מִלְחָמָה... כַּנִּרְאֶה, מִלְחָמָה תִּהְיֶה בָּאָרֶץ.
אֲבָל בְּלִבּוֹ שֶׁל הַשֵּׁיךְ הָיְתָה מַחֲשָׁבָה קָשָׁה: הַמִּלְחָמָה הַזֹּאת תָּבוֹא רַק עָלָיו... בְּמִי יִלָּחֵם? וּמִי יִלָּחֵם בּוֹ?..

ג

רֹאשׁ הַחַרַתִּים נִכְנַס לֶחָצֵר וְשָׁכַב לִישׁוֹן. הַבַּת סִדְּרָה אֶת מִשְׁכָּבָהּ עַל הַגַּג וְשָׁכְבָה גַּם הִיא. הָעֶבֶד

[صفحة ٥٠]

הַשָּׁחוֹר הֵכִין אֶת מִשְׁכַּב הַשֵּׁיךְ וְהָלַךְ לוֹ. כֻּלָּם
יְשֵׁנִים, כָּל הַכְּפָר, כָּל בְּנֵי־הַבַּיִת. רַק הַשֵּׁיךְ עֲדַיִן
יוֹשֵׁב תַּחַת עֵץ הַתְּאֵנָה, וְהַנַּרְגִּילָה בְּפִיו. מַחֲשָׁבוֹת
עֲצוּבוֹת מְאֹד עוֹבְרוֹת בְּרֹאשׁוֹ: מָה אוֹמֵר הַסִּימָן
שֶׁהֶרְאוּ לוֹ מִן הַשָּׁמַיִם?
אָז זָכַר הַשֵּׁיךְ פִּתְאֹם דָּבָר שֶׁקָּרָה לִפְנֵי עֶשֶׂר
שָׁנִים:
בְּנוֹ הַיָּחִיד עָמַד לָשֵׂאת לְאִשָּׁה אֶת בַּת הַשֵּׁיךְ שֶׁל
הַכְּפָר הַגָּדוֹל דַהֲרִיָּה, רֹאשׁ לְכָל בֵּית־סַלְחִי.
מִכָּל הַסְּבִיבָה בָּאוּ הֲמוֹן אוֹרְחִים. בְּנֵי הַכְּפָרִים
עִיּוּן וְדַהֲרִיָּה בָּאוּ כֻּלָּם רוֹכְבִים עַל סוּסֵיהֶם.
״פַנְטַסִיָּה״ כְּמוֹ שֶׁהָיְתָה בְּאוֹתוֹ יוֹם – לֹא רָאוּ
אֲפִלּוּ הַזְּקֵנִים שֶׁבְּאַנְשֵׁי הַכְּפָרִים. אַלְפֵי יְרִיּוֹת יָרוּ
הַבַּחוּרִים, וְהַסּוּסִים נָפְלוּ מֵרֹב עֲיֵפוּת. שְׁנֵי הַגִּבּוֹרִים
שֶׁל הַפַנְטַסִיָּה הָיוּ הֶחָתָן, וְהַדּוֹד הַצָּעִיר שֶׁל הַכַּלָּה,
אֲחִי־אָבִיהָ. הֵם הָיוּ יָפִים, חֲזָקִים וְקַלִּים, וְקָלְעוּ
אֶל הַמַּטָּרָה בְּאֹפֶן נִפְלָא. הַבַּחוּרוֹת אָמְרוּ: ״כַּלָּה
מְאֻשֶּׁרֶת. חָתָן כָּזֶה וְדוֹד כָּזֶה...״ אֲבָל הָיוּ בַּחוּרוֹת
שֶׁהוֹסִיפוּ: ״וְאוּלַי רוֹצָה הִיא בַּדּוֹד יוֹתֵר מֵאֲשֶׁר
בֶּחָתָן?״... כִּי כֻּלָּם יָדְעוּ שֶׁהַדּוֹד הַצָּעִיר אָהַב
אֶת בַּת אָחִיו וְרָצָה לָשֵׂאת אוֹתָהּ לְאִשָּׁה. אֲבָל
אָבִיהָ רָצָה לְהִתְחַתֵּן בַּשֵּׁיךְ הֶעָשִׁיר, הַחַג׳ אִיבְּרָהִים
לְבֵית־אִיּוֹבִּי, וְנָתַן אוֹתָהּ לִבְנוֹ הַיָּחִיד.

[صفحة ٥١]

כַּאֲשֶׁר רָכְבָה הַכַּלָּה הַיְפֵהפִיָּה עַל הַגָּמָל מִבֵּית
אָבִיהָ לְבֵית הֶחָתָן קָרָה הָאָסוֹן...
עוֹד בַּיּוֹם שֶׁלִּפְנֵי הַחֲתֻנָּה הָיָה לִבּוֹ שֶׁל הַשֵּׁיךְ חַג׳
אִיבְּרָהִים מָלֵא פַּחַד. בָּעֶרֶב רָאָה הַרְבֵּה כּוֹכָבִים
נוֹפְלִים, וְאַחַר־כָּךְ עָפָה מֵעַל לְרֹאשׁוֹ צִפּוֹר
גְּדוֹלָה וּשְׁחוֹרָה... 'עַל הַלַּיְלָה לֹא יָשַׁן וּבַבֹּקֶר
הוֹדִיעַ הַשֵּׁיךְ שֶׁהֶחְלִיט לִדְחוֹת אֶת הַחֲתֻנָּה.
סִימָנִים לֹא טוֹבִים שָׁלְחוּ לוֹ מִן הַשָּׁמַיִם...
שָׁמְעָה אִשְׁתּוֹ וְצָעֲקָה: אֵיךְ אֶפְשָׁר לִדְחוֹת אֶת
הַחֲתֻנָּה וְהַכֹּל מוּכָן?
שָׁמַע הַבֵּן וְשָׁתַק, אֲבָל פָּנָיו הָיוּ לְבָנִים מְאֹד...
עָשָׂה הַשֵּׁיךְ רְצוֹן הָאִשָּׁה וְהַבֵּן – וְלֹא דָחָה אֶת
הַחֲתֻנָּה. יָצָא גַּם הוּא עִם כֻּלָּם לְקַבֵּל אֶת פְּנֵי
הַכַּלָּה. וְכַאֲשֶׁר הָלְכוּ, שְׂמֵחִים וַעֲלִיזִים, בָּאָה
שׁוּב הַצִּפּוֹר הַשְּׁחוֹרָה, וְעָפָה מֵעַל לְרָאשֵׁי
הָאֲנָשִׁים. הִבִּיטוּ בָּהּ הַבַּחוּרִים וְלֹא יָדְעוּ מַה הִיא:
צִפּוֹר כָּזוֹ לֹא רָאוּ אַף פַּעַם. הַזְּקֵנִים הֵנִיעוּ
בְּרֹאשָׁם , וְלִבּוֹ שֶׁל הַשֵּׁיךְ חַג׳ אִיבְּרָהִים נָפַל...
זוֹ הָיְתָה אוֹתָהּ צִפּוֹר שֶׁהִסְתּוֹבְבָה בָּעֶרֶב הַקּוֹדֵם
מֵעַל עֵץ הַתְּאֵנָה שֶׁלּוֹ...
פִּתְאֹם אָמַר הַזָּקֵן: ״מִי מִן הַבַּחוּרִים יְקַלַּע אֶל
הַצִּפּוֹר הַזֹּאת וְיָמִית אוֹתָהּ בִּירִיָּה אַחַת״

[صفحة ٥٢]

שָׁמְעוּ הַזְּקֵנִים אֶת הַדְּבָרִים הָאֵלֶּה וְנִבְהֲלוּ מְאֹד.
אֲבָל לִפְנֵי שֶׁהִסְפִּיקוּ לוֹמַר דָּבָר – יָרוּ. שְׁנֵי

רוֹבִים, רוֹבֶה הֶחָתָן וְרוֹבֶה דּוֹד־הַכַּלָּה... הַיְּרִיָּה
הָרִאשׁוֹנָה הָיְתָה שֶׁל הֶחָתָן. הַצִּפּוֹר נָפְלָה לָאֲדָמָה
כְּמוֹ אֶבֶן.
צְעָקוֹת שֶׁל שִׂמְחָה מִלְּאוּ אֶת הָאֲוִיר. אֲבָל אַחֲרֵי
רֶגַע נֶהֶפְכוּ לִצְעָקוֹת שֶׁל פַּחַד: הֶחָתָן יָשַׁב עַל
סוּסָתוֹ וּמִן הַצַּוָּאר שֶׁלּוֹ נִשְׁפַּךְ דָּם... הַיְּרִיָּה
הַשְּׁנִיָּה, שֶׁל דּוֹד הַכַּלָּה, פָּגְעָה בּוֹ וְהָרְגָה אוֹתוֹ...
כַּנִּרְאֶה, נִבְהֲלָה הַסּוּסָה מִקּוֹל הַיְּרִיָּה הָרִאשׁוֹנָה,
קָפְצָה הַצִּדָּה, וְיָדוֹ שֶׁל הַיּוֹרֶה זָזָה.
– גּוּם, גּוּם, גּוּם! – צָעֲקוּ הָרוֹכְבִים מִבֵּית־
אִיּוּבִּי, בְּנֵי מִשְׁפַּחַת הֶחָתָן. כֻּלָּם הֶחֱזִיקוּ בָּרוֹבִים
וּבַחֲרָבוֹת, וְרָצוּ לְצַד אַנְשֵׁי כְּפַר דַּהֲרִיָּה. דּוֹד
הַכַּלָּה יָשַׁב עַל סוּסָתוֹ חִוֵּר מְאֹד, וְכָל בַּחוּרֵי
בֵּית־סַלְחִי עָמְדוּ סְבִיבוֹ כְּמוֹ חוֹמָה. עוֹד מְעַט,
וּמִלְחָמָה נוֹרָאָה הָיְתָה מַתְחִילָה בֵּין שְׁתֵּי הַמִּשְׁפָּחוֹת
הַגְּדוֹלוֹת בָּאָרֶץ, מִלְחָמָה שֶׁמִּי יוֹדֵעַ אֵיךְ וּמָתַי
הָיְתָה נִגְמֶרֶת...

ד

אָז יָצָא הַשֵּׁיךְ הַקָּדוֹשׁ, אַבּוּ־רָשִׁיד. הַשֵּׁיךְ הַזֶּה

[صفحة ٥٣]

הָיָה קָרוֹב שֶׁל מִשְׁפַּחַת אִיּוּבִּי וּבָא לַחֲתֻנָּה מִן הָעִיר הָרְחוֹקָה חֶבְרוֹן. כָּל הָאָרֶץ יָדְעָה מִי הוּא הַשֵּׁיךְ הַזֶּה, וּכֻלָּם נָתְנוּ לוֹ כָּבוֹד גָּדוֹל.
יָצָא הַשֵּׁיךְ, עָמַד בֵּין שְׁנֵי הַמַּחֲנוֹת, וְקָרָא בְּקוֹל גָּדוֹל:

– עִמְדוּ וְאַל תָּזוּזוּ מִן הַמְּקוֹמוֹת שֶׁלָּכֶם!
עָמְדוּ הַבַּחוּרִים וְלֹא זָזוּ, כִּי פַּחַד הַשֵּׁיךְ הַקָּדוֹשׁ נָפַל עֲלֵיהֶם.
אָמַר הַשֵּׁיךְ:
– בְּשֵׁם אַלָּה וּבְשֵׁם הַנָּבִיא אַל תִּגְעוּ, בַּחוּרֵי בֵּית־אִיּוּבִּי, בַּנֶּשֶׁק שֶׁלָּכֶם. אַל תִּשְׁפְּכוּ דָּם נָקִי וְאַל תָּבִיאוּ אָסוֹן עַל כָּל הָאָרֶץ. הָעֵינַיִם שֶׁלִּי עֲדַיִן רוֹאוֹת הֵיטֵב, יוֹדֵעַ אֲנִי שֶׁלֹּא בְּכַוָּנָה עָשָׂה דּוּד הַכַּלָּה אֶת הַדָּבָר. עוֹד הָעֶרֶב יִתְאַסְּפוּ כָּל הַזְּקֵנִים מִשְּׁתֵּי הַמִּשְׁפָּחוֹת וְיֵשְׁבוּ לַמִּשְׁפָּט. מַה שֶּׁיַּחְלִיטוּ, הוּא יִהְיֶה!
בַּחוּרֵי בֵּית אִיּוּבִּי שָׁמְעוּ בְּקוֹל הַשֵּׁיךְ, אִם כִּי לִבָּם הָיָה מָלֵא צַעַר גָּדוֹל וְכַעַס נוֹרָא. בְּלִי לוֹמַר דָּבָר לָקְחוּ אֶת הַמֵּת וְהוֹבִילוּ אוֹתוֹ עַל סוּסָתוֹ אֶל הַכְּפָר.
אַחֲרֵי הַסּוּסָה הָלַךְ הַשֵּׁיךְ חַג׳ אִיבְּרָהִים, שֶׁהָרֹאשׁ שֶׁלּוֹ הָפַךְ בְּמֶשֶׁךְ רְגָעִים אֲחָדִים לָבָן לְגַמְרֵי. עַל יָדוֹ רָכַב הַשֵּׁיךְ אַבּוּ־רָשִׁיד.

[صفحة ٥٤]

וּבְנֵי בֵּית־סַלְתִי רָכְבוּ חֲזָרָה לִכְפַר דַּהֲרִיָּה.

ה

בַּלַּיְלָה יָשְׁבוּ לַמִּשְׁפָּט, שְׁנֵים־עָשָׂר זְקֵנִים מִבֵּית־אִיּוֹבִּי, וּשְׁנֵים־עָשָׂר זְקֵנִים מִבֵּית־סַלְתִי. וְהַשֵּׁיךְ רָשִׁיד יוֹשֵׁב בְּרֹאשָׁם. כָּל הַלַּיְלָה דִּבְּרוּ וְהִתְוַכְּחוּ בַּמִּשְׁפָּט הַקָּשֶׁה. פְּעָמִים אֲחָדוֹת כִּמְעַט וְקָמוּ כָּל הַזְּקֵנִים מִמְּקוֹמָם בְּלִי לְהַחְלִיט דָּבָר, וּכְבָר הָיָה

בָּרוּר, שֶׁלַּבֹּקֶר תַּתְחִיל הַמִּלְחָמָה הַנּוֹרָאָה, וְכָל הָאָרֶץ תִּהְיֶה מְלֵאָה דָּם. כִּי בְּנֵי־בֵּית אִיּוֹבִּי דָּרְשׁוּ אֶת חַיֵּי הַהוֹרֵג, דּוֹד הַכַּלָּה, וּבֵית סַלְתִי לֹא הִסְכִּימוּ לִמְסוֹר אוֹתוֹ.

אֲבָל הַשֵּׁיךְ אַבּוּ־רָשִׁיד לֹא נָתַן לָהֶם לַעֲזוֹב אֶת הַמָּקוֹם. הוּא לֹא נָח וְלֹא שָׁקַט עַד אֲשֶׁר הוֹצִיאוּ מִשְׁפַּט צֶדֶק: הַהוֹרֵג יִבְרַח לְעֵבֶר־הַיַּרְדֵּן. עֶשֶׂר שָׁנִים יֵשֵׁב שָׁם וְלֹא יַעֲבֹר אֶת הַיַּרְדֵּן. וְהַכַּלָּה תַּעֲזֹב אֶת בֵּית אָבִיהָ. הִיא תָּבוֹא לִחְיוֹת בְּבֵית אֲבִי חֲתָנָהּ, בְּבֵית הַשֵּׁיךְ חַג׳ אִיבְּרָהִים, וְתִהְיֶה לוֹ לְבַת בִּמְקוֹם הַבֵּן שֶׁנֶּהֱרַג. וְלֹא תִּהְיֶה לְאִשָּׁה לְשׁוּם אִישׁ, בְּלִי שֶׁהוּא יַסְכִּים.

עוֹד בְּאוֹתוֹ יוֹם בָּאוּ כָּל בְּנֵי בֵּית־סַלְתִי לִכְפַר עִיּוֹן. הֵם הֵבִיאוּ אִתָּם כְּבָשִׂים רַבִּים, וְזָבְחוּ זֶבַח

[صفحة ٥٥]

גָּדוֹל שֶׁאָכְלוּ אוֹתוֹ יַחַד עִם בְּנֵי אִיּוּבִּי. לְמָחֳרַת הַיּוֹם הָלְכוּ בְּנֵי בֵּית־אִיּוּבִּי לְדַהֲרִיָּה, וְגַם הֵם הֵבִיאוּ אִתָּם כְּבָשִׂים חֲנִיחוּ זֶבַח גָּדוֹל. וּשְׁנֵי הַבָּתִּים כָּרְתוּ בֵּינֵיהֶם בְּרִית שָׁלוֹם וּסְלִיחָה עַל הַדָּם שֶׁנִּשְׁפַּךְ, וְחָזְרוּ כָּל אֶחָד לְבֵיתוֹ וְלַעֲבוֹדָתוֹ.
דוֹד הַכַּלָּה עָזַב אֶת בֵּיתוֹ, אֶת מִשְׁפַּחְתּוֹ וְאֶת כְּפָרוֹ וְהָלַךְ לְעֵבֶר־הַיַּרְדֵּן. וְהַכַּלָּה בָּאָה לָשֶׁבֶת בְּבֵית הַשֵּׁיךְ, חַג׳ אִיבְּרָהִים. הַשֵּׁיךְ הַקָּדוֹשׁ אַבּוּ־רָשִׁיד נִשְׁאַר גַּם הוּא בְּבֵית אִיבְּרָהִים כְּחֹדֶשׁ יָמִים. הוּא לֹא רָצָה לַעֲזוֹב אֶת הַכְּפָר כָּל זְמַן שֶׁבְּתוֹךְ הַלְּבָבוֹת עֲדַיִן בָּעֲרָה אֵשׁ הַשִּׂנְאָה.

אַחֲרֵי חֹדֶשׁ הֶחְלִיט אַבּוּ־רָשִׁיד שֶׁהִגִּיעַ הַזְּמַן לַחֲזוֹר לְבֵיתוֹ. בְּנֵי הַכְּפָרִים הִתְחִילוּ שׁוֹכְחִים לְאַט לְאַט אֶת הַמַּעֲשֶׂה הַנּוֹרָא. רַק אֵם הַבָּחוּר, אֵשֶׁת חַג׳ אִיבְּרָהִים, לֹא יָכְלָה לִשְׁכֹּחַ אֶת בְּנָהּ הַיָּחִיד. הִיא בָּכְתָה עָלָיו יוֹמָם וָלַיְלָה וְאַחֲרֵי שָׁנָה שָׁכְבָה גַּם הִיא בָּאֲדָמָה הַקָּרָה לְיַד בְּנָהּ.
וְהַנַּעֲרָה־הַכַּלָּה נִשְׁאֲרָה לָשֶׁבֶת בְּבֵית הַשֵּׁיךְ, שֶׁהָיָה לָהּ כְּמוֹ אָב. הִיא הָיְתָה מְנַהֶלֶת אֶת כָּל הַבַּיִת וְאֶת כָּל הָעֲבוֹדָה הָרַבָּה. שֵׁם הַנַּעֲרָה הָיָה רַשִׁיָּה.

אֶת כָּל הַדְּבָרִים הָאֵלֶּה זָכַר הַשֵּׁיךְ כַּאֲשֶׁר יָשַׁב בָּעֶרֶב לְבַדּוֹ תַּחַת עֵץ הַתְּאֵנָה, אַחֲרֵי שֶׁרָאָה אֶת הָעֵנָה מְסַפְסֶפֶת דָּם מֵחָמֵשׁ אֶצְבָּעוֹת אֲרֻכּוֹת...

[صفحة ٥٦]

ו

בַּבֹּקֶר, כַּאֲשֶׁר זָרְחָה הַשֶּׁמֶשׁ, כְּבָר הָיָה הַכְּפָר רֵיק. כֻּלָּם יָצְאוּ לַשָּׂדוֹת, כִּי הָיָה זֶה זְמַן חֲרִישַׁת־הַקַּיִץ וְהַזְּרִיעָה. רַק זְקֵנִים וּזְקֵנוֹת אֲחָדִים נִשְׁאֲרוּ בַּכְּפָר.

בְּתוֹךְ הֶחָצֵר שֶׁל הַשֵּׁיךְ הָיָה שֶׁקֶט גָּמוּר. הָעֶבֶד הַכּוּשִׁי נִקָּה וְסִדֵּר אֶת הַבַּיִת וְהֵכִין לַאֲדוֹנוֹ אֶת אֲרוּחַת הַבֹּקֶר.

הַשֵּׁיךְ גָּמַר אֶת תְּפִלָּתוֹ וְיָרַד מִן הַגַּג. שׁוּב יָשַׁב מִתַּחַת לַתְּאֵנָה, וּפָנָיו עֲיֵפִים וּמְלֵאִים דְּאָגָה.

– הַאִם יֹאכַל עַכְשָׁו הַשֵּׁיךְ אֶת אֲרוּחַת הַבֹּקֶר?

– שָׁאַל הַכּוּשִׁי.

הַשֵּׁיךְ לֹא עָנָה דָּבָר, רַק עָשָׂה בְּיָדוֹ סִימָן שֶׁאֵין הוּא רוֹצֶה לֶאֱכוֹל הַבֹּקֶר. לִבּוֹ הָיָה מָלֵא מַחֲשָׁבוֹת קָשׁוֹת. פִּתְאֹם הֵרִים אֶת רֹאשׁוֹ: מִן הָרְחוֹב שָׁמַע קוֹל שֶׁל סוּס דּוֹהֵר. "מִי הוּא זֶה, הַבָּא עַכְשָׁו, עִם בֹּקֶר?" – חָשַׁב הַשֵּׁיךְ. וְהִנֵּה שָׁמַע דְּפִיקָה בַּשַּׁעַר.

– לֵךְ וּרְאֵה מִי הוּא הַדּוֹפֵק, – אָמַר הַשֵּׁיךְ לָעֶבֶד.

הַכּוּשִׁי הָלַךְ וְחָזַר:

– בֶּדֶוִי רוֹכֵב עַל סוּסָה וּפָנָיו מְכֻסִּים. הוּא מְבַקֵּשׁ לִרְאוֹת אֶת הַשֵּׁיךְ.

[صفحة ٥٧]

"בֶּדְוִי" – חָשַׁב הַשֵּׁיךְ. "מַה לִּי וּלְבֶּדְוִים? וְלָמָּה
פָּנָיו מְכֻסִּים? וְאוּלַי בּוֹרֵחַ הוּא מִ'צוּם'" – כַּאֲשֶׁר
עָלְתָה מַחֲשָׁבָה זוֹ עַל לִבּוֹ אָמַר לָעֶבֶד:
– מַהֵר וּפְתַח לוֹ אֶת הַשַּׁעַר וְיִכָּנֵס.
פָּתַח הָעֶבֶד אֶת הַשַּׁעַר וְהִכְנִיס אֶת הָאִישׁ לֶחָצֵר.
קָם הַשֵּׁיךְ מִמְּקוֹמוֹ וְקָרָא לָאוֹרֵחַ:
– בָּרוּךְ הַבָּא לְבֵיתִי!
– תְּהִיֶה בִּרְכַּת אַלָּה עַל בֵּיתְךָ לְעוֹלָם, שֵׁיךְ
חַג' אִבְּרָהִים לְבֵית־אִיּוּבִּי! – הֵשִׁיב הָאוֹרֵחַ.
הַבֶּדְוִי הָאוֹרֵחַ לֹא הוֹרִיד אֶת הַ"כָּפִיָּה" מִפָּנָיו.
אֲבָל הָעֵינַיִם הַשְּׁחוֹרוֹת שֶׁלּוֹ הִבִּיטוּ יָשָׁר לְתוֹךְ
עֵינֵי הַשֵּׁיךְ, וְהָיוּ נוֹצְצוֹת מְאֹד. הוּא לֹא דִּבֵּר כְּמוֹ
בֶּדְוִי, אֶלָּא כְּמוֹ אֶחָד מֵאַנְשֵׁי הַכְּפָרִים אֲשֶׁר בֶּהָרִים.

– מִי אַתָּה וּמַה שִּׁמְךָ? – שָׁאַל הַשֵּׁיךְ – וּמַדּוּעַ פָּנֶיךָ
מְכֻסִּים? לֹא בַּשָּׂדֶה אַתָּה וְלֹא בַּמִּדְבָּר אֶלָּא
בְּבֵיתִי. אִישׁ לֹא יִגַּע בְּךָ כָּאן לְרָעָה.
– לֹא אוֹרִיד אֶת הַכָּפִיָּה מֵעַל פָּנַי וְלֹא אֹמַר אֶת
שְׁמִי עַד אֲשֶׁר תַּבְטִיחַ שֶׁסָּלַחְתָּ לִי.
וְכַאֲשֶׁר אָמַר הָאוֹרֵחַ אֶת הַמִּלִּים הָאֵלֶּה נָפַל עַל
הָאָרֶץ וְנָשַׁק אֶת רַגְלֵי הַשֵּׁיךְ...
בְּאוֹתוֹ רֶגַע הִכִּיר הַשֵּׁיךְ אֶת הָאוֹרֵחַ וְיָדַע מִי הוּא.
הוֹרֵג בְּנוֹ הוּא זֶה! עֶשֶׂר הַשָּׁנִים עָבְרוּ, וְהוּא חוֹזֵר
אֶל בֵּיתוֹ וְאֶל מִשְׁפַּחְתּוֹ...

[صفحة ٥٨]

הָעֶבֶד הַכּוּשִׁי, כַּאֲשֶׁר רָאָה אֶת הַשֵּׁיךְ עוֹמֵד חִוֵּר וְרוֹעֵד, מִהֵר אֵלָיו כְּדֵי לִשְׁמוֹר עָלָיו מִפְּנֵי הַסַּכָּנָה. אֲבָל הָאִישׁ הַשּׁוֹכֵב עַל הָאֲדָמָה קָרָא:

– אַל יִגַּע בִּי זֶה! אִם אֵין הַשֵּׁיךְ רוֹצֶה לִרְאוֹת אוֹתִי בְּבֵיתוֹ, יֹאמַר רַק מִלָּה אַחַת – וַאֲנִי קָם וְחוֹזֵר לַמָּקוֹם מִמֶּנּוּ בָּאתִי וְלֹא אָשׁוּב אֶל בֵּיתִי לְעוֹלָם. גַּם אֶת אֲבוֹתַי לֹא אֶרְאֶה עוֹד, כִּי עֲדַיִן לֹא רָאִיתִי אוֹתָם. יָשָׁר לְכָאן בָּאתִי...

– קוּם בְּנִי, – אָמַר הַשֵּׁיךְ. – קוּם וְאֶרְאֶה אֶת פָּנֶיךָ. וְעִמִּי תִּסְעַד כָּעֵת מִכָּל אֲשֶׁר נָתַן לִי אֱלֹהִים.

הָאִישׁ קָם, וְנָשַׁק אֶת יְדֵי הַשֵּׁיךְ בְּתוֹדָה. אַחַר־כָּךְ וְהִבִּיט אֶל תּוֹךְ עֵינֵי הַשֵּׁיךְ בְּעֵינַיִם מְלֵאוֹת תְּפִלָּה:

– הַאִם סָלַחְתָּ לִי? הַאִם אֵין בְּלִבְּךָ דָּבָר נֶגְדִּי?

– סָלַחְתִּי, בְּנִי.

– אֱלֹהִים שָׂם אֶת הַדְּבָרִים בְּפִיךָ! – קָרָא הָאוֹרֵחַ. – מֵעַכְשָׁו, בִּנְךָ אֲנִי, כִּי כָּךְ קָרָאתָ לִי, וְכָל חַיַּי – לְךָ הֵם. אִם תְּשַׁלַּח אוֹתִי אֶל תּוֹךְ הָאֵשׁ – אֵלֵךְ, וְאִם תֹּאמַר לִי לָבוֹא בַּמַּיִם – אָבוֹא. כָּל מַה שֶּׁתְּצַוֶּה עָלַי אֶעֱשֶׂה, כִּי בִּנְךָ אֲנִי.

הָעֶבֶד שֶׁעָמַד בַּצַּד וְשָׁמַע אֶת הַדְּבָרִים הָאֵלֶּה, נִגֵּב אֶת הַדְּמָעוֹת מִפָּנָיו הַשְּׁחוֹרִים וְרָץ אֶל הַבַּיִת לְהָכִין אֶת הַקָּפֶה.

[صفحة ٥٩]

ז

יָשַׁב הָאוֹרֵחַ עִם הַשֵּׁיךְ כָּל אוֹתוֹ בֹּקֶר, אָכְלוּ מִן הַדְּבָרִים הַטּוֹבִים שֶׁהֵבִיא לָהֶם הַכּוּשִׁי, וְדִבְּרוּ. הָאוֹרֵחַ סִפֵּר לַשֵּׁיךְ כָּל מַה שֶּׁעָשָׂה וְרָאָה בַּמְּקוֹמוֹת הָרְחוֹקִים בְּמֶשֶׁךְ עֶשֶׂר הַשָּׁנִים שֶׁעָבְרוּ. וְהַשֵּׁיךְ סִפֵּר לָאוֹרֵחַ עַל בֵּיתוֹ וְעַל מִשְׁפַּחְתּוֹ, וְאֶת כָּל הַחֲדָשׁוֹת מִן הַכְּפָר שֶׁלּוֹ. בְּכָל פַּעַם רָאָה הַשֵּׁיךְ שֶׁהָאוֹרֵחַ רוֹצֶה לְהַפְסִיק אוֹתוֹ וְלִשְׁאוֹל מַשֶּׁהוּ – אֲבָל אֵינֶנּוּ עוֹשֶׂה זֹאת. רָצָה הַשֵּׁיךְ לִשְׁאוֹל, מַה הַדָּבָר שֶׁאוֹתוֹ הוּא מְבַקֵּשׁ לָדַעַת, אֲבָל הָאוֹרֵחַ הִתְחִיל מִיָּד בְּסִפּוּר חָדָשׁ, וְלֹא נָתַן לַשֵּׁיךְ לִשְׁאוֹל.

– שְׁלוֹשִׁים יוֹם וּשְׁלוֹשִׁים לַיְלָה יָשַׁבְתִּי בְּמֶכָּה – סִפֵּר הָאוֹרֵחַ.

שָׁתְקוּ הַשְּׁנַיִם כַּאֲשֶׁר זָכְרוּ אֶת הַמָּקוֹם הַקָּדוֹשׁ, וְאָמְרוּ תְּפִלָּה.

– בְּכָל יוֹם – הוֹסִיף הָאוֹרֵחַ – הָיִיתִי הוֹלֵךְ לַקֶּבֶר הַקָּדוֹשׁ שֶׁבְּמֶכָּה וּמִתְפַּלֵּל שֶׁיִּהְיֶה לְךָ שָׁלוֹם, וְהַבְּרָכָה תָּבוֹא עָלֶיךָ וְעַל כָּל בֵּיתְךָ. וְגַם בְּעַד הַנְּשָׁמָה שֶׁל בִּנְךָ הָיִיתִי מִתְפַּלֵּל. בַּקָּשָׁה אַחַת בִּקַּשְׁתִּי מֵאֵת הַנָּבִיא: שֶׁאַתָּה תִּסְלַח לִי. וְאִם לֹא – שֶׁיִּקַּח אֶת חַיַּי. וְגַם... וְגַם לִשְׁלוֹמָהּ שֶׁל רַשִׁיָּה הִתְפַּלַּלְתִּי...

כַּאֲשֶׁר אָמַר הָאוֹרֵחַ אֶת הַשֵּׁם הַזֶּה הָיוּ פָּנָיו חִוְּרִים

[صفحة ٦٠]

מְאֹד, וְהוּא הִבִּיט אֶל הַשֵּׁיךְ בְּעֵינַיִם מְלֵאוֹת שְׁאֵלָה וּתְפִלָּה.
– שָׁמַע הַנָּבִיא לִתְפִלָּתְךָ בְּנִי. שָׁלוֹם לִי וְשָׁלוֹם לְרַשִׁיָּה. מִמֶּנָּה כָּל הַבְּרָכָה שֶׁבָּאָה אֶל בֵּיתִי.
– הַאִם... הַאִם עֲדִין בְּבֵיתְךָ הִיא?.. – וּפְנֵי הָאוֹרֵחַ הָיוּ אֲדֻמִּים מְאֹד.
– כֵּן. בְּבֵיתִי. וְהִיא הַמְנַהֶלֶת אוֹתוֹ.
– וַעֲדִין... עֲדִין... לֹא...
– מָה רוֹצֶה אַתָּה לוֹמַר? הַאִם עֲדִין לֹא נִשְּׂאָה לְאִישׁ? – לֹא! בַּחוּרִים רַבִּים רָצוּ בָּהּ וַאֲנִי הִסְכַּמְתִּי, אֲבָל הִיא לֹא רָצְתָה: "בֵּיתְךָ הוּא בֵּיתִי, וּמִכָּאן לֹא אֵלֵךְ", אָמְרָה. כַּנִּרְאֶה, עֲדִין אוֹהֶבֶת הִיא אֶת חֲתָנָהּ...
הוֹרִיד הָאוֹרֵחַ אֶת רֹאשׁוֹ וְשָׁתַק. אַחַר כָּךְ הִבִּיט יָשָׁר אֶל תּוֹךְ עֵינֵי הַשֵּׁיךְ וְאָמַר:
– מֵאֵת אֱלֹהִים הַדָּבָר. קַח, קְרָא זֹאת וְרָאִיתָ, כִּי רְצוֹן אַלְלָה הוּא!

נָתַן הָאוֹרֵחַ לַשֵּׁיךְ קֶלֶף יָשָׁן שֶׁעָלָיו מִכְתָּב.
– מִי כָּתַב אֶת הַמִּכְתָּב הַזֶּה?
– הַאִם אֵין אַתָּה מַכִּיר? הַשֵּׁיךְ אַבּוּ־רָשִׁיד הַקָּדוֹשׁ, שֶׁמֵּת עוֹד בְּאוֹתָהּ שָׁנָה, לִפְנֵי עֶשֶׂר שָׁנִים.
– חַי אֱלֹהִים כִּי צוֹדֵק אַתָּה! – קָרָא הַשֵּׁיךְ. הַכְּתָב – כְּתַב־יָדוֹ, וְגַם שְׁמוֹ חָתוּם עַל הַקֶּלֶף!

[صفحة ٦١]

פָּתַח הַשֵּׁיךְ אֶת הַקְּלָף הַיָּשָׁן וְקָרָא אֶת הַכָּתוּב בּוֹ:
״לִקְרוֹב מִשְׁפַּחְתִּי וְלִידִיד נַפְשִׁי, הַשֵּׁיךְ חַג׳ אִיבְּרָהִים לְבֵית אִיּוּבִּי. אֶת אֲשֶׁר יָשִׂים אַלָּה בְּפִי, אוֹתוֹ אַגִּיד לְךָ. וְאֶת הַכְּתָב אֶמְסוֹר לָאִישׁ, הַהוֹלֵךְ הַיּוֹם לְגָלוּת רְחוֹקָה, לְחָלִיל לְבֵית סַלְחִי. וְזֶה הַדָּבָר: אַחֲרֵי עֶשֶׂר שְׁנוֹת גָּלוּתוֹ שֶׁל חָלִיל לְבֵית סַלְחִי, יְרַחֵם עָלָיו אֱלֹהִים וְיַחֲזִיר אוֹתוֹ לְאֶרֶץ אֲבוֹתָיו. אִם עַד הַיּוֹם הַהוּא לֹא תִּהְיֶה רַשְׁיָה לְאִישׁ – וְהָיְתָה הִיא לְאִשְׁתּוֹ. הֵם יִחְיוּ בְּבֵיתְךָ, הַשֵּׁם שֶׁלְּךָ יִהְיֶה שְׁמָם, וּבְנֵיהֶם יִהְיוּ בָּנֶיךָ. זֶהוּ רְצוֹן אַלָּה, וְכָל זֶה כָּתַבְתִּי בְּיָדַי וְחָתַמְתִּי בִּשְׁמִי. עֶבֶד לְאַלָּה, שֵׁיךְ חַג׳ מֻחַמַּד אַבּוּ־רָשִׁיד לְבֵית אִיּוּבִּי״.
הֶחֱזִיר הַשֵּׁיךְ הַזָּקֵן אֶת הַקְּלָף לָאוֹרֵחַ בְּיָדַיִם רוֹעֲדוֹת. אֲבָל קוֹלוֹ הָיָה שָׁקֵט כַּאֲשֶׁר אָמַר לָעֶבֶד הַשָּׁחוֹר:
– שְׁלַח אֶת הַנַּעַר לַשָּׂדֶה וְיַגִּיד לְבִתִּי, לְרַשְׁיָה, כִּי קוֹרֵא אֲנִי לָהּ לָשׁוּב הַבַּיְתָה. אַלָּה שָׁלַח אֵלֵינוּ אוֹרֵחַ יָקָר.

ח

אֲבָל רַשְׁיָה כְּבָר שָׁמְעָה עַל בּוֹא הָאוֹרֵחַ. אַחַד הַנְּעָרִים שֶׁהָלַךְ לַבַּיִת לְהָבִיא מִשָּׁם אֶת הָאֹכֶל בִּשְׁבִיל הָאֲנָשִׁים בַּשָּׂדֶה, שָׁמַע מִפִּי הַכּוּשִׁי עַל הָאוֹרֵחַ. כַּאֲשֶׁר חָזַר לַשָּׂדֶה סִפֵּר אֶת הַחֲדָשָׁה

[صفحة ٦٢]

לְכֻלָּם, וְגַם רַשְׁיָה שָׁמְעָה. בְּאוֹתוֹ רֶגַע עָמְדָה וּמָדְדָה אֶת הַזְּרָעִים. כַּאֲשֶׁר שָׁמְעָה אֶת סִפּוּר הַנַּעַר רָעֲדָה הַיָּד שֶׁלָּהּ וְהַזְּרָעִים נִשְׁפְּכוּ לָאָרֶץ. הִבִּיטוּ עָלֶיהָ כָּל הַחֲרֵתִים. דָּבָר כָּזֶה לֹא קָרָה לְבַעֲלַת־הַבַּיִת שֶׁלָּהֶם אַף פַּעַם, רַק הַחֲרֵתִים הַזְּקֵנִים, שֶׁזָּכְרוּ מַה שֶּׁהָיָה לִפְנֵי עֶשֶׂר שָׁנִים, הֵבִינוּ מַה בְּלִבָּהּ.

כַּאֲשֶׁר הִגִּיעָה הַשָּׁעָה לֶאֱכוֹל אֶת לֶחֶם הַצָּהֳרַיִם, לֹא יָשְׁבָה רַשְׁיָה לֶאֱכוֹל עִם הַחֲרֵתִים, כְּמוֹ שֶׁהָיְתָה עוֹשָׂה תָּמִיד. הִיא פָּנְתָה וְהָלְכָה אֶל הַכְּפָר. אֲבָל כַּאֲשֶׁר הִגִּיעָה לַמַּעְיָן, רָחֲצָה אֶת פָּנֶיהָ, וְאַחַר־כָּךְ פָּנְתָה וְהָלְכָה לֹא לַכְּפָר, אֶלָּא לְבֵית־הַקְּבָרוֹת. אֶל קִבְרֵי הָאֵם וְהַבֵּן הָלְכָה. שָׁם נָפְלָה עַל הָאֲדָמָה, בָּכְתָה בִּדְמָעוֹת חַמּוֹת וְהִתְפַּלְּלָה לֵאלֹהִים.

אַחֲרֵי־כֵן חָזְרָה רַשְׁיָה אֶל הַמַּעְיָן, וְשׁוּב רָחֲצָה אֶת פָּנֶיהָ וְאֶת עֵינֶיהָ. תִּקְּנָה אֶת הַמִּטְפַּחַת עַל רֹאשָׁהּ וְהָלְכָה אֶל הַכְּפָר. בַּדֶּרֶךְ פָּגְשָׁה אֶת הַנַּעַר שֶׁשָּׁלַח הַשֵּׁיךְ לִקְרוֹא לָהּ.

– הִנֵּה בָּאתִי, אָבִי, כִּי שָׁלַחְתָּ לִקְרוֹא לִי.

רַשְׁיָה עָמְדָה לִפְנֵי הַשֵּׁיךְ. אֶת הָאוֹרֵחַ, שֶׁעָמַד מִן הַצַּד וְהִבִּיט בָּהּ בְּעֵינַיִם בּוֹעֲרוֹת, כְּאִלּוּ לֹא רָאֲתָה כְּלָל. הִבִּיט הַשֵּׁיךְ בִּפְנֵי בִּתּוֹ וְלֹא הֶאֱמִין לְמַה שֶּׁרָאוּ עֵינָיו. הִיא הָיְתָה שׁוּב צְעִירָה וְיָפָה, כְּמוֹ בְּיוֹם הַחֲתֻנָּה שֶׁלָּהּ. כְּאִלּוּ לֹא עָבְדָה עֶשֶׂר שָׁנִים

[صفحة ٦٣]

בַּשָּׂדֶה, בַּשֶּׁמֶשׁ וּבָרוּחַ, כְּמוֹ אַחַד הַחָרָתִים. אָז הֵבִין הַשֵּׁיךְ מַה בְּלֵב הָאִשָּׁה הָעוֹמֶדֶת לְפָנָיו, וּדְמָעוֹת חַמּוֹת יָרְדוּ מֵעֵינָיו עַל פָּנָיו הַזְּקֵנִים.

– רַשְׁיָה, בִּתִּי – אָמַר – הַאִם מַכִּירָה אַתְּ אֶת הָאִישׁ הַזֶּה?

פָּנְתָה רַשִׁיה וְהִבִּיטָה בָּאוֹרֵחַ, שֶׁעָמַד מִן הַצַּד כֻּלּוֹ רוֹעֵד.

– כֵּן, אָבִי...

– דּוֹדְךָ הוּא, אֲחִי אָבִיךְ, אֲשֶׁר... בּוֹא הֵנָּה, חָלִיל, קַח אֶת יָדָהּ... תְּנִי לִי אֶת יָדֵךְ, בִּתִּי: וְהִנֵּה גַּם יָדִי... מֵהַיּוֹם הַזֶּה אֲנַחְנוּ הַשְּׁלוֹשָׁה כְּמוֹ אִישׁ אֶחָד נִהְיֶה... מֵאֵלֶּה יָצָא הַדָּבָר, בָּנַי, זֶה הָיָה רְצוֹנוֹ, יְבָרֵךְ אַלָּה אֶת שְׁנֵיכֶם.

בְּעוֹד שָׁעָה יָצָא חָלִיל מֵחֲצַר הַשֵּׁיךְ עַל סוּסָתוֹ. הוּא רָכַב לִכְפַר דַּהֲרִיָּה, מָלֵא שִׂמְחָה, כָּבוֹד וְנִצָּחוֹן.

וְרַשְׁיָה קָרְאָה לְכָל הַנְּעָרוֹת, וְהֵן יָשְׁבוּ לִתְפּוֹר אֶת בִּגְדֵי הַחֲתֻנָּה.

ט

עָבְרוּ שְׁלוֹשִׁים יוֹם. זְמַן הַחֲתֻנָּה הִגִּיעַ. הַכֹּל כְּבָר מוּכָן, וּמָחָר יִהְיֶה הַחַג הַגָּדוֹל.

בַּבֹּקֶר שֶׁלִּפְנֵי יוֹם הַחֲתֻנָּה קָם הַשֵּׁיךְ מִשְּׁנָתוֹ, וְלִבּוֹ רַע עָלָיו. וְלֹא יָדַע מַה הַדָּבָר. עַד אוֹתוֹ בֹּקֶר הָיָה

[صفحة ٦٤]

עַלִּיז וְשָׂמֵחַ. הוּא הֶחְלִיט לְסַדֵּר חֲתֻנָּה, שֶׁכָּמוֹהָ
לֹא רָאָה עֲדַיִן שׁוּם אִישׁ. וּמַה זֶּה הָיָה לוֹ פִּתְאֹם?
רַשְׁיָה רָאֲתָה מִיָּד אֶת פְּנֵי הַשֵּׁיךְ הַלֹּא־טוֹבִים, וְלִבָּהּ
הָיָה מָלֵא דְּאָגָה. הִיא אֵינֶנָּה שְׂמֵחָה. הַלֵּב שֶׁלָּהּ
כָּבֵד לְמִן הַיּוֹם שֶׁחָזַר חָלִיל. הִיא מַרְגִּישָׁה, שֶׁמַּשֶּׁהוּ
לֹא טוֹב עוֹמֵד לִקְרוֹת, וְאֵינֶנָּה יוֹדַעַת מָה.
אַחֲרֵי תְּפִלַּת הָעֶרֶב, כַּאֲשֶׁר יָשַׁב הַשֵּׁיךְ מִתַּחַת
עֵץ הַתְּאֵנָה שֶׁלּוֹ, נִגְּשָׁה אֵלָיו רַשְׁיָה, הֵבִיאָה לוֹ אֶת
הַנַּרְגִּילָה וְאֶת סֵפֶל הַקָּפֶה, וְיָשְׁבָה עַל יָדוֹ. רַק
לְעִתִּים רְחוֹקוֹת מְאֹד, כַּאֲשֶׁר קָרָה מִקְרֶה שֶׁל
אָסוֹן בַּכְּפָר, הָיְתָה יוֹשֶׁבֶת כָּךְ עַל יָדוֹ.
רָאָה הַשֵּׁיךְ אֶת פָּנֶיהָ הָעֲצוּבִים וְאָמַר:
– מַה לָּךְ בִּתִּי? מַדּוּעַ אַתְּ עֲצוּבָה פִּתְאֹם? מָחָר
יוֹם שִׂמְחָתֵךְ!
נָפְלָה רַשְׁיָה לְרַגְלֵי הַשֵּׁיךְ, נָשְׁקָה אֶת יָדוֹ וּבָכְתָה.
נִבְהַל הַשֵּׁיךְ וְאָמַר:
– בִּתִּי, מַה לָּךְ? הַאִם עָשָׂה לָךְ אִישׁ רָעָה?
– אֲדוֹנִי אָבִי, – אָמְרָה רַשְׁיָה – לִבִּךְ כָּבֵד עָלַיִךְ
מִן הַבֹּקֶר. בְּבַקָּשָׁה מִמְּךָ, אֱמֹר לִי כָּל מַה שֶּׁבְּלִבְּךָ.
אִם אֵין הַמַּעֲשֶׂה לְרָצוֹן לְךָ – אַל תַּעֲשֶׂה אוֹתוֹ.

יַחֲזֹר חָלִיל לַמָּקוֹם שֶׁמִּמֶּנּוּ בָּא וְלֹא יָבוֹא הֵנָּה
לְעוֹלָם. בִּתְּךָ אֲנִי, בִּמְחִיר דַּם בִּנְךָ קָנִיתָ אוֹתִי...
– בִּתִּי, אַל תְּדַבְּרִי כָּכָה... שִׂמְחָתֵךְ הִיא שִׂמְחָתִי.
מֵאַלָּיו יָצָא הַדָּבָר.

[صفحة ٦٥]

נָפְלָה רַשְׁיָה עוֹד הַפַּעַם לְרַגְלֵי הַשֵּׁיךְ, וְשׁוּב נָשְׁקָה אֶת יָדוֹ, וְדִמְעוֹת שֶׁל שִׂמְחָה יָרְדוּ הַפַּעַם מֵעֵינֶיהָ...

ד

בַּלַּיְלָה קָם פִּתְאֹם הַשֵּׁיךְ מִשְּׁנָתוֹ. מַה זֶּה מַפְרִיעַ לוֹ לִישֹׁן?.. תִּקֵּן אֶת הַמִּשְׁכָּב, וְנִסָּה שׁוּב לְהֵרָדֵם. אֲבָל אַחֲרֵי רְגָעִים אֲחָדִים שׁוּב הִתְעוֹרֵר. מַה מַּפְרִיעַ לוֹ? הַאִם חָלָה? אַף פַּעַם לֹא הָיָה חוֹלֶה. נָגַע בְּרֹאשׁוֹ, בְּבִטְנוֹ – לֹא, שׁוּם דָּבָר אֵינֶנּוּ כּוֹאֵב. מַה לוֹ? נִסָּה עוֹד הַפַּעַם לְהֵרָדֵם, וְשׁוּב הִתְעוֹרֵר. אָז יָשַׁב עַל מִשְׁכָּבוֹ בְּפַחַד גָּדוֹל. הַאִם לֹא שָׁמַע מִישֶׁהוּ אוֹמֵר דָּבָר בְּאָזְנוֹ?... הוֹצִיא אֶת יָדָיו וְחִפֵּשׂ בְּתוֹךְ הַחֹשֶׁךְ. כֵּן, הִנֵּה שׁוּב... וְהַקּוֹל כָּל־כָּךְ בָּרוּר. מַה הוּא אוֹמֵר?

– מָחָר אַתָּה נוֹתֵן אֶת כַּלַּת בִּנְךָ לָאִישׁ, שֶׁשָּׁפַךְ אֶת דָּמוֹ! – אָמַר הַקּוֹל.

הַשֵּׁיךְ נִבְהַל מְאֹד. הוּא קָם, לָקַח אֶת הַמַּקֵּל שֶׁלּוֹ, הִדְלִיק אוֹר, וְיָצָא לְחַפֵּשׂ אֶת בַּעַל הַקּוֹל. חִפֵּשׂ בֶּחָצֵר וְעָלָה גַּם עַל הַגַּג, שָׁם יָשְׁנָה רַשְׁיָה, וּצְחוֹק קַל שֶׁל שִׂמְחָה עַל פָּנֶיהָ... חָזַר הַשֵּׁיךְ אֶל מִשְׁכָּבוֹ. אֵין זֶה כִּי אִם רַק חֲלוֹם רַע. שָׁכַב לִישֹׁן עוֹד הַפַּעַם. מָחָר יִהְיֶה יוֹם גָּדוֹל וְהָעֲבוֹדָה תִּהְיֶה רַבָּה...

[صفحة ٦٦]

רַק הִתְחִיל הַשֵּׁיךְ לְהֵרָדֵם – וְשׁוּב קָפַץ מִמִּשְׁכָּבוֹ בְּפַחַד גָּדוֹל. הַקּוֹל, אוֹתוֹ קוֹל, שׁוּב מְדַבֵּר בְּאָזְנָיו... מִי הוּא זֶה הַמַּפְרִיעַ אֶת מְנוּחָתוֹ? הַאִם עָשָׂה דָּבָר נֶגֶד רְצוֹן אֱלֹהִים?...
נִזְכַּר פִּתְאֹם הַשֵּׁיךְ בְּדָבָר נוֹרָא. הוּא שָׁכַח אֶת הַחוֹבָה שֶׁלּוֹ לַמֵּתִים! אֵיךְ קָרָה, שֶׁהוּא, הַשֵּׁיךְ, יִשְׁכַּח זֹאת? מִנְהָג הוּא בְּבֵית אִיּוּבִּי לְבַקֵּר אֶת קִבְרֵי בְּנֵי הַמִּשְׁפָּחָה לִפְנֵי כָּל חֲתֻנָּה, וּלְבַקֵּשׁ מֵהֶם רְשׁוּת וּסְלִיחָה... אֵיךְ יָכוֹל הָיָה לִשְׁכּוֹחַ מִנְהָג קָדוֹשׁ זֶה?
קָם הַשֵּׁיךְ עוֹד הַפַּעַם מִמִּשְׁכָּבוֹ, לָבַשׁ אֶת בְּגָדָיו וְיָצָא אֶל הָרְחוֹב.
הָיָה לֵיל חֹשֶׁךְ, אֲבָל הַזָּקֵן הִכִּיר אֶת הַדֶּרֶךְ גַּם בַּלַּיְלָה. כָּעֵת יְמַלֵּא גַּם אֶת הַחוֹבָה הַזֹּאת, וְשׁוּם דָּבָר לֹא יַפְרִיעַ יוֹתֵר אֶת הַשִּׂמְחָה...
כַּאֲשֶׁר כְּבָר הָיָה קָרוֹב אֶל בֵּית־הַקְּבָרוֹת שָׁמַע מִשָּׁם פִּתְאֹם קוֹלוֹת שֶׁל תְּנוּעָה. עָמַד בִּמְקוֹמוֹ, כְּאִלּוּ נֶהֶפְכוּ רַגְלָיו לְקֶרַח, וְלֹא יָכוֹל לָזוּז. הוּא הֶחְלִיט, שֶׁיְּמַהֵר יַחֲזֹר לְבֵיתוֹ. אֲבָל אַחֲרֵי רֶגַע הֵרִים רַגְלָיו וְהִמְשִׁיךְ לָלֶכֶת.
וּמַה שֶּׁאָמַר לוֹ לִבּוֹ זֹאת רָאוּ עַכְשָׁו עֵינָיו:
הָאֵם וְהַבֵּן, אִשְׁתּוֹ וּבְנוֹ הַיָּחִיד, יָשְׁבוּ עַל הַקְּבָרִים שֶׁלָּהֶם, הָרָאשִׁים שֶׁלָּהֶם לְמַטָּה.

[صفحة ٦٧]

כַּאֲשֶׁר נִכְנַס, הֵרִימוּ שְׁנֵיהֶם אֶת רָאשֵׁיהֶם וְהִבִּיטוּ בּוֹ. הַפָּנִים שֶׁל הָאִשָּׁה הָיוּ מְלֵאִים כַּעַס, וּבְעֵינֵי הַבֵּן רָאָה כְּאֵב גָּדוֹל, כְּמוֹ אָז, כַּאֲשֶׁר יָשַׁב פָּצוּעַ עַז מָוֶת עַל סוּסָתוֹ, בְּיוֹם חֲתֻנָּתוֹ...

רָצָה הַשֵּׁיךְ לָשֶׁבֶת אֶצְלָם – וְלֹא יָכֹול לָזוּז; רָצָה לוֹמַר לָהֶם דָּבָר – וְלֹא יָכוֹל לְדַבֵּר.

– מָחָר אַתָּה מַכְנִיס אֶת רַשִׁיָּה לְחֻפָּה, וְדַם הַבֵּן שֶׁלְּךָ יִהְיֶה כְּמוֹ מַיִם עַל פְּנֵי הַשָּׂדֶה...

זֶה הָיָה קוֹל אִשְׁתּוֹ. הַבֵּן לֹא אָמַר דָּבָר.

רָצָה הַשֵּׁיךְ לוֹמַר שֶׁמִּצְוַת הַשֵּׁיךְ אַבּוּ־רָשִׁיד הִיא זוֹ, וּרְצוֹנוֹ שֶׁל אַלְלָה. אֲבָל לִפְנֵי שֶׁפָּתַח אֶת הַפֶּה לְדַבֵּר שָׁמַע שׁוּב אֶת הַקּוֹל:

– הַאִם הַשֵּׁיךְ אַבּוּ־רָשִׁיד הַטִּפֵּשׁ חָשׁוּב בְּעֵינֶיךָ יוֹתֵר מִבִּנְךָ, וְהַקְּלָף שֶׁלּוֹ נִכְבָּד יוֹתֵר מִכָּל מִנְהֲגֵי הַמֻּשְׁלְמִים?

כָּעַס הַשֵּׁיךְ מְאֹד עַל הַדְּבָרִים הָאֵלֶּה וְרָצָה לַעֲנוֹת לָאִשָּׁה. אֲבָל בְּאוֹתוֹ רֶגַע קָרָא הַתַּרְנְגוֹל וְהָאֵם וְהַבֵּן נֶעֶלְמוּ כְּאִלּוּ לֹא הָיוּ.

חָזַר הַשֵּׁיךְ לְבֵיתוֹ, שָׁכַב עַל מִשְׁכָּבוֹ וְיָשֵׁן שֵׁנָה חֲזָקָה. בַּבֹּקֶר קָם, קָרָא לְבִתּוֹ, וְהָלַךְ אִתָּהּ יַחַד לְבֵית־הַקְּבָרוֹת לְבַקֵּשׁ רְשׁוּת וּסְלִיחָה מִן הַמֵּתִים.

כַּאֲשֶׁר חָזְרוּ לְבֵיתָם, כְּבָר הָיְתָה הֶחָצֵר מְלֵאָה אוֹרְחִים.

[صفحة ٦٨]

יא

הַחֲתֻנָּה, שֶׁנִּפְסְקָה בְּאֶמְצַע לִפְנֵי עֶשֶׂר שָׁנִים, כְּאִלּוּ
נִמְשְׁכָה עַכְשָׁו... בָּעֵמֶק שֶׁבֵּין עִיּוּן וְדַהֲרִיָּה
הִתְאַסְּפוּ הָאוֹרְחִים מִכָּל הַסְּבִיבָה; כָּל בַּחוּרֵי
הַכְּפָרִים בָּאוּ עַל סוּסֵיהֶם, וְשׁוּב הָיְתָה שָׁם
״פַנְטַסִיָּה״, שֶׁכָּמוֹהָ לֹא זָכְרוּ אֲפִלּוּ הַזְּקֵנִים. אַלְפֵי
יְרִיּוֹת רוֹבִים הִרְעִישׁוּ אֶת הָאֲוִיר. הַבַּחוּרוֹת הָיוּ
לְבוּשׁוֹת בִּבְגָדִים נֶהֱדָרִים, אֲבָל יוֹתֵר מִכֻּלָּן –
הַכַּלָּה, שֶׁרָכְבָה עַל גָּמָל. אֲבָל הַפַּעַם הָיָה הַסֵּדֶר
הָפוּךְ – אֶת הַכַּלָּה לָקְחוּ מִבֵּית־אִיּוּבִּי לְבֵית־
סַלְחִי. שְׁתֵּי הַמִּשְׁפָּחוֹת הִסְכִּימוּ בֵּינֵיהֶן, שֶׁמִּשָּׁם
יַחְזְרוּ הֶחָתָן וְהַכַּלָּה לְבֵית הַשֵּׁיךְ אִיבְּרָהִים. שָׁם
יִחְיוּ וְאֶת הַבָּנִים שֶׁלָּהֶם יִקְרְאוּ עַל שְׁמוֹ, כְּמוֹ שֶׁהָיָה
כָּתוּב בַּקְּלָף שֶׁל הַשֵּׁיךְ הַקָּדוֹשׁ אַבּוּ־רָשִׁיד.

אִישׁ לֹא רָאָה חָתָן נֶהֱדָר יוֹתֵר מֵחָלִיל – יָפֶה,
חָזָק, וּבָטוּחַ עַל סוּסָתוֹ וּבָרוֹבֶה שֶׁלּוֹ. וְגַם עַל הַשֵּׁיךְ
אִיבְּרָהִים הִבִּיטוּ כֻּלָּם. אַף פַּעַם לֹא הָיָה יוֹתֵר
עַלִּיז וְשָׂמֵחַ מֵאֲשֶׁר בְּאוֹתוֹ יוֹם – כְּאִלּוּ לֹא עָבְרוּ
עֶשֶׂר שָׁנִים מִיּוֹם חֲתֻנַּת בְּנוֹ, וּכְאִלּוּ לֹא הָפַךְ הַשֵּׂעָר
שֶׁלּוֹ לָבָן בְּאוֹתוֹ יוֹם בִּן־רֶגַע... סוּסַת הַשֵּׁיךְ
הָיְתָה הַיָּפָה שֶׁבֵּין כָּל הַסּוּסוֹת, וְרַק סוּסַת הֶחָתָן,
שֶׁהֵבִיא אוֹתָהּ מֵעֵבֶר־הַיַּרְדֵּן, הָיְתָה יָפָה מִמֶּנָּה.

[صفحة ٦٩]

לִכְבוֹד הַחֲתֻנָּה פָּתַח הַשֵּׁיךְ אֶת כָּל הַמַּחְסָנִים
שֶׁלּוֹ. הַמַּאֲכָלִים הָיוּ רַבִּים מְאֹד וּמְצֻיָּנִים מְאֹד.
בִּגְדֵי הַכַּלָּה הָיוּ מִן הַמֶּשִׁי הַיּוֹתֵר נִפְלָא. הַבָּשָׂר
שֶׁאָכְלוּ הָיָה שֶׁל הַשְּׁמֵנוֹת וְהַטּוֹבוֹת שֶׁבַּכְּבָשִׂים. זוֹ
הָיְתָה חֲתֻנָּה שֶׁל בַּת־מֶלֶךְ וְלֹא שֶׁל בַּת־כְּפָר...
בָּעֶרֶב יָצְאוּ הַבַּחוּרִים בְּהִתְחָרוּת הַסּוּסִים. בְּנֵי
בֵּית־אִיּוּבִּי מִצַּד זֶה וּבְנֵי בֵּית־סַלְחִי מִצַּד זֶה.
תְּחִלָּה הָיוּ בְּנֵי־אִיּוּבִּי רִאשׁוֹנִים. אָז קָם הֶחָתָן וְעָמַד
בְּרֹאשׁ בַּחוּרֵי בֵּית אֲבוֹתָיו. כָּעֵת הָיוּ בַּחוּרֵי בֵּית־
סַלְחִי הַמְנַצְּחִים.

הָיוּ בַּחוּרֵי בֵּית־אִיּוּבִּי מְלֵאִים צַעַר: מִי יִפַּקֵּד
עֲלֵיהֶם? אֵין לָהֶם גִּבּוֹר צָעִיר שֶׁיַּעֲמֹד בְּרֹאשָׁם.

אָז קָפַץ הַשֵּׁיךְ הַזָּקֵן עַל סוּסָתוֹ, וְקָרָא בְּקוֹל גָּדוֹל:
"יְחִיוּ בַּחוּרֵי בֵּית־אִיּוּבִּי!" וְעָמַד בְּרֹאשׁ אֲנָשָׁיו.
הַהִתְחָרוּת בֵּין שְׁנֵי הַמַּחֲנוֹת הִתְחִילָה מֵחָדָשׁ, אֲבָל
הַפַּעַם כְּבָר לֹא שָׁמְרוּ הַבַּחוּרִים לֹא עַל עַצְמָם
וְלֹא עַל הַסּוּסוֹת. הִתְחָרוּת כָּזוֹ עוֹד לֹא הָיְתָה
בָּעוֹלָם. פֹּה וָשָׁם כְּבָר נָפְלוּ סוּסוֹת אֲחָדוֹת מֵתוֹת,
בַּחוּרִים אֲחָדִים מִשְּׁנֵי הַמַּחֲנוֹת הִתְחִילוּ עוֹזְבִים
אֶת הַשָּׂדֶה אֶחָד אֶחָד, עֲיֵפִים עַד מָוֶת... וּלְבַסּוֹף
נִשְׁאֲרוּ רַק שְׁנֵי מִתְחָרִים – הַשֵּׁיךְ הַזָּקֵן וְהֶחָתָן
חָלִיל.

[صفحة ٧٠]

– הַי, צָעִיר, נַסֵּה עוֹד הַפַּעַם אֶת הַכֹּחַ שֶׁלְּךָ! – קָרָא הַזָּקֵן.
– אֲנִי בָּא, זָקֵן! – קָרָא חָלִיל בְּכַעַס.
הַכַּלָּה, שֶׁיָּשְׁבָה עַל הַגָּמָל, הִבִּיטָה עַל שְׁנֵי הַמִּתְחָרִים בְּעֵינַיִם מְלֵאוֹת פַּחַד וּדְאָגָה...
– עִמְדוּ! – צָעֲקָה רַשְׁיָה פִּתְאֹם.
אֲבָל כְּבָר הָיָה מְאֻחָר. שְׁתֵּי הַסּוּסוֹת כְּבָר הָיוּ בַּדֶּרֶךְ...
הַשְּׁנַיִם הָיוּ צְרִיכִים לְהַגִּיעַ אֶל סֶלַע גָּדוֹל שֶׁעָמַד בְּאֶמְצַע הַשָּׂדֶה. הַשֵּׁיךְ הַזָּקֵן הָיָה בָּרֹאשׁ. עוֹד מְעַט – וְהָיָה מְנַצֵּחַ. אֲבָל פִּתְאֹם הִבִּיט לְמַעְלָה וְרָאָה בַּשָּׁמַיִם אֶת הַיָּד הָאֲדֻמָּה, מְטַפְטֶפֶת דָּם... וּבְאוֹתוֹ רֶגַע הִגִּיעַ חָלִיל אֶל הַסֶּלַע.
– הַכָּבוֹד וְהַנִּצָּחוֹן לְבֵית־סַלְחִי! – קָרְאוּ קוֹלוֹת רַבִּים בְּשִׂמְחָה.
אָז פָּנָה הַזָּקֵן אֶל הֶחָתָן הַצָּעִיר וְקָרָא בְּקוֹל נוֹרָא:
– הוֹרֵג בְּנִי – הִגִּיעַ יוֹם מוֹתְךָ! דָּם תַּחַת דָּם!
הַחֶרֶב הָאֲרֻכָּה שֶׁל הַזָּקֵן נִכְנְסָה לְלֵב חָלִיל.
אָז נִשְׁמְעוּ צְעָקוֹת: "נוּם, נוּם, נוּם!", וּבַחוּרֵי בֵּית סַלְחִי הִתְנַפְּלוּ עַל הַזָּקֵן.
הַמִּלְחָמָה הִתְחִילָה. הָאָרֶץ נִמְלְאָה יָדַיִם מְטַפְטְפוֹת דָּם, דַּם אַחִים...

الخاتمة

وبعد ... فالنماذج التي أراد موشيه سميلنسكي أن يعرضها في أقاصيصه هي نماذج مشوهة ، قصد بها كاتبها تشويه صورة العرب بشكل عام بدافع من صهيونيته التي هاجر في أحضانها إلي فلسطين لاستيطانها ، أراد أن يكسب من خلالها مكانة أدبية بين اليهود والصهاينة الجدد ، وأن يحقق في نفس الوقت رغبة ذلك الصحفي الذي ألح عليه بأن يكتب في هذه الموضوعات التي كانت تمثل الرومانسية في الأدب العبري في ذلك الوقت وتستهوي القراء .

والنماذج التي عرضها والتي تتضمن أفكاره الرئيسية هي :

١- عربي أسود لم يحقق حلمه بالزواج لفقره .

٢- عربي بدين ينفر منه الناس ويطلق امرأته لأنها تضرب ابنته .

٣- عربي متخلف يرى في المرأة شيطاناً ويعتمد على الخرافات .

٤- القبائل العربية علي خلاف مستمر حول الأرض والعرض .

٥- العربي متحجر العقل يتمسك بالقديم الذي ورثه ويرفض الجديد ، وعندما يكتشف تخلفه يموت غيظاً .

٦- القبائل العربية تزوّج الابنة من عمها وتستسمح الموتي قبل العرس .

٧- العربي لا عهد له ، والثأر من العادات الاسلامية .

ولقد كثرت الأخطاء الدينية والاجتماعية في أقاصيص موشيه سميلنسكي ومنها :

١- كتابته للعبارات الاسلامية بشكل خاطئ يثبت أنه سمع ولم يعايش الواقع ، بل ولم يتعايش مع هذه القصص في الواقع .

٢- أظهر الكاتب من خلال أقاصيصه أن المرأة والفتاة العربية تكره الزوج [الحمو] وتمثل الشيطان [الموت من قبلة] ، وتفرط في عِرضها بسهولة [بنت الشيخ] ، ولا تساوي مجرد بندقية قديمة [عبد الهادي] ، وتتزوج من عمها وتملي ارادتها وهي ميتة علي الأحياء [الأخذ بالثار] .

بهذه الصور المشوهة أراد سميلنسكي أن ينفث سمومه بشكل أدبي سريع الهضم وهو القصة القصيرة فاختار نماذجاً تلقائية بسيطة وافترض فيها كل نواقصه وبل وتحجج بأنه عايشها وعرفها عن قرب .

ويلاحظ أنه في معظم أقاصيصه قد جعل البطل فيها ينتهي من الحياة مع نهاية القصة ، فابن الشيخ مات رغم كل محاولات القبيلة لإنقاذه ، وماتت بنت الشيخ بعداكتشاف أمرها علي أيدي النساء ، وعبد الهادي مات غيظاً لاكتشافه أنه علي خطأ، والشيخ إبراهيم مات مقتولاً بعد أن أخذ بثار ابنه من قاتله .

كما أظهر الكاتب " الأنا اليهودي الصهيوني " من خلال اشفاقه علي صاحب الكلب واحترام العربي الدميم ، وذكر الأرقام التي تعلق في ذهنه بدلالات دينية ، وكثرة تدخلاته فيما يقصه من خياله . ويعد تدخله في أحداث الأقاصيص أداة استخدمها لإقناع قرائه - الصهاينة الجدد - بانه عاصر أبطالها ، وتعايش معهم وقد أثبتنا أنه نسج هذه الأعمال من خياله كعنصر جذب لهؤلاء الجدد ومآرب أخرى في نفسه .

لقد كتب سميلنسكي هذه الأقاصيص وهوعلي فراش المرض ويبدو أن مرضه قد أثر علي عقله كثيراً وهو يستجمع مفردات حكاياته . فجعل قبر النبي (ص) في مكة . وكرر الكثير من أسماء الأعلام التي لا يعرف سواها مثل إبراهيم وخليل . وتوج هذه الأخطاء بالكتابة الخاطئة للعبارات الاسلامية . وقد وضح من خلال هذه الأقاصيص أن موشيه سميلنسكي وأمثاله ممن كتبوا عن العرب قد بالغوا كثيراً في تشويه صورة العرب ورسم نماذج من الخيال بعيدة عن الواقع .

مراجع ومصادر المقدمة والتعليق

١- القرآن الكريم

٢- العهد القديم

٣- مقدمة العدد رقم (٨) من سلسلة " גשר "، القدس ١٩٨٤م

٤- האינצקלופדיה העברית , כרך 3

٥- المسيري ، عبدالوهاب (دكتور) : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية

الأهرام ١٩٧٥م

٦- المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق ، بيروت١٩٩٢م

٧-تلمي ، افرايم و مناحم : معجم المصطلحات الصهيونية

ترجمة أحمد بركات العجرم - دار الجليل للنشر

٨- عرايدي ، نعيم : نافذة على الأدب العبري الحديث فلسطين ، ١٩٨٤

٩- كلاوزنر، يوسف (دكتور) : الموجز في تاريخ الأدب العبري الحديث

تعريب د.اسحق شموش ، عكا ١٩٨٦م

١٠- الشامي ، رشاد (دكتور) : تطور وخصائص اللغة العبرية

مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة - ١٩٧٨

١١- الشامي ، رشاد (دكتور) : الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية

- الكويت ، عالم المعرفة ، ١٩٨٦

المحتويات

رقم الإيداع
٩٥/٩٦٩١

الترقيم الدولي
977-208-153-9

وجدير بالذكر أن هذه الأقاصيص قد نقلت في هذه السلسلة بعبرية تختلف في أسلوبها المبسط عما كتبها موشيه سميلنسكي مما يصعب معه التعليق عليها لغوياً ولكن في نفس الوقت يسهل التعليق عليها من حيث المضمون لأنها تتضمن الفكرة كما قصدها مؤلفها وهذا ما دفعني للتعليق على مضمونها . وربما كتبها موشيه بالعبرية المبسطة ليجذب بها القراء الجدد القادمين من شرق أو غرب أوروبا . وقد قامت بإختيار هذه المجموعة وصياغتها للعبرية جاليا يردني : גליה ירדני ونشرتها المنظمة الصهيونية العالمية بالقدس :

המחלקה לחינוך ולתרבות בגולה של ההסתדרות הציונית העולמית , ירושלים .

" قسم التعليم والثقافة في الشتات التابع للهستدروت الصهيوني العالمي ، القدس"

وهذه الأقاصيص الست هي :

١- صاحب الكلب : אבו אל כלב

٢- الحمو: חותן

٣- الموت المفاجيء : מיתת נשיקה

٤- بنت الشيخ : בת השיך

٥- عبد الهادي : עבדול הדי

٦- الأخذ بالثأر : גואל הדם